Fac/LIT
01f40

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها

تخصص : الحضارة العربية الإسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان:

الفكر الإعتزالي وأثره في الحضارة العربية الإسلامية

من إعداد الطالبة:

• مكي فضيلة

تحت إشراف الأستاذ :

أ.د أحمد دكار

السنة الجامعية: 1431-1432 هـ / 2010-2011 م

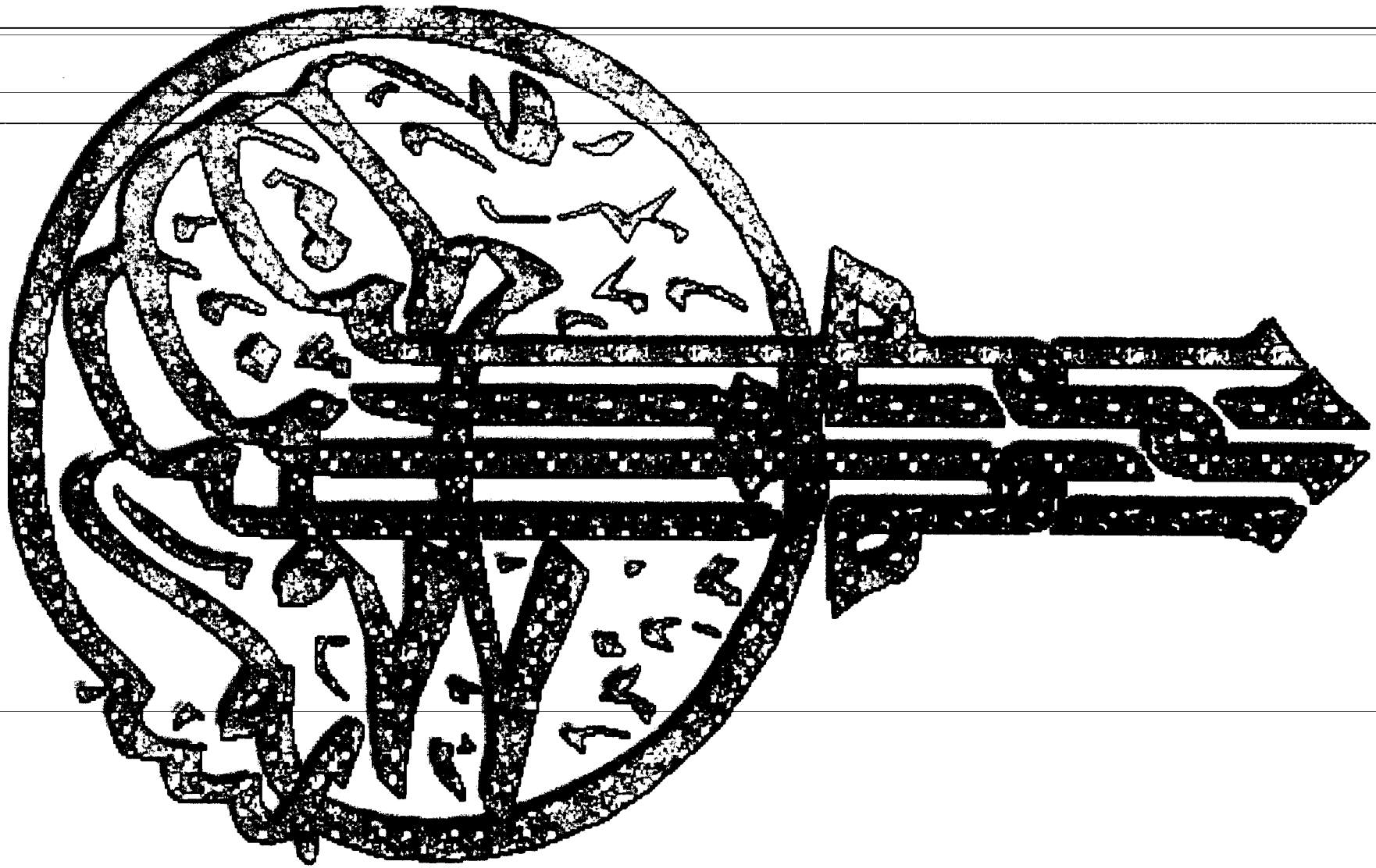

تشكرات:

الحمد لله حمدا يليق بجلاله عدد خلقه و رضا نفسه و
ة عرشه و مداد كلماته ملئ سمواته و ملئ أراضيه و ملئ
ما بينهما، حمدا حتى يرضى و حمدا إلى رضي و حمدا
رضى على ما أنعم علي من تسديد الخطى و توفيقه لي في
عداد هذا الموضوع و الشكر الجزيل و الاعتراف الجميل
لأستاذي الكريم المحترم الدكتور : أحمد دكار، المشرف على
المذكرة فمعه تكرست لدي معاني البحث و النضج فشكرا
له جزيل الشكر و لجميع أساتذتنا الكرام الذين وهبوا
زوداتهم كي نتجرع من علومهم و ننهل من آدابهم فلهيئة
التدريس ألف شكر.

إلى كل من تفضل علي من قريب أو من بعيد إ
هذه الثمرة و إشعال رحيق زهرها فشكرا جزيلا.

إهداء:

حقا هي بذرة تتفتق بعد جهد سحيق من حرث الأيام و الليالي أهديها و أقلدها لها أصادفا كريمة لصاحبة الفؤاد المحبوك و الصفاء صفاء الزئبق كيف لا و الجنة تحت أقدامها و القلب بإشراق وجهها يتهدهد و الخير بصفاء نفسها يتودد تلهو و ترنو و تحنو لها النظرات و تشكو الأحداق و العبرات و تتحلى لرؤياها الكروب و يتحلى بين يديها الحب و الخيرات إلى من علقتها بشريان قلبي فلها و لطهارة قلبها أمي الغالية أهديها لها.

حضن خطايا علما و معرفة و فرش قلبه حبا و عناية و أسقى في وجع فطنته تدبيرا و حكمة، علمني كيف يبني الأمل صرح الحياة و كيف أقتص الفرص للسعادة و تشبثت بأول خيط يقودني إلى مستقبل آخر بلا هوادة صاحب الحلم الوتير و القلب الكبير و الوجه النظير تاج رأسي و زماني والدي العزيز أهديه له.

إلى الساكنات على ضفاف قلبي سند حياتي و نبراسها سكنوا فؤادي و قرة عيني و شقائق نفسي إلى إخوتي: طاهر، عمر، يوسف، عيسى و أخواتي: رقية، نورية، تالية، زكية، أهديها لهم.

النفس من دونهم لا تقر و القلب لفراقهم لا يسر، عمائد دربي و خلائل مهجتي و جمائل مقلتي صديقاتي: فريدة ، نور الهدى، حورية، خديجة، نورة، فاطمة الزهراء، ، جميلة، نوال، فوزية، فتيحة.

فضيلة

شهدت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل ألوانا من نتائج الفكر و المعرفة وصل منها بعض و فقد بعض لأسباب عديدة خضعت في كثير من الأحيان للعصبية المذهبية أو الأحداث السياسية . و ما وجد من هذا التراث و ما فقد يحملنا على ضرورة السرعة إلى الانتفاع به و العمل على نشره و تحقيقه و الإفادة مما يزخر به من موضوعات حيوية تعين على تحقيق رسالة الأمة على مذاهبها و طرائقها ، و رغم ما حدث به كتب التاريخ من المخطوطات التي أصابت كتب التراث في العصور المختلفة و أطاحت بالكثير منه فإن نظرة فيما سلم إلينا من المخطوطات القديمة و فقط في مكتبات العالم التي أخرجت بها فهارس علمية لتعطينا صورة رائعة عن التراث العظيم . الذي يعرف على مدى الأيام في أقطار الدنيا و الذي وصل إلينا خبره عن طريق تلك الفهارس . و لا ريب أيضا أن هناك كتب كثيرة قد أسدل عليها ستارا كثيفا من الإهمال و لم يعلم المشتغلون بالعلم عنها شيئا و من هذه المخطوطات التي طالما تعاليها العلماء "تراث المعتزلة "حيث تأتي دراسة فكر و فلسفة مذهب الاعتزال جزء لا يتجزأ من كيان الفكر الإسلامي انطلاقا من الجديد الذي حققه هذا المذهب في الفكر الديني و الاجتماعي بشكل عام فبعد أن كان الاتجاه السائد في التفكير يؤكد غلى تغييب أهمية العقل فإن المعتزلة أعطت هذا العقل السيادة في الفكر ، هذه هي البداية و هذا هو الأساس الذي يبنى عليه المعتزلة فكرهم الفلسفي خلافا لأفكار عصرهم السائدة ، و بما أن الإنسان هو الوحيد الذي يملك هذا العقل المبدع فمن خلال ذلك ... المعتزلة على سيادة هذا الإنسان في الكون و أنه أروع ما في الوجود كاشفتين عن إمكانية التصرف في حياته و أنه مسؤول عن حياته بعد أن كان مسلوب الإرادة لا يملك غير الخضوع للقدر خيره و شره و ذلك حسب التصور الجبري و لقد أسس المعتزلة أي بيولوجية ذات تطلعات تتنسم بالتفكير الحر و قل ما سيقتهم إليها مذاهب في الفكر الفلسفي المرتبط بالفكر الديني بشكل عام و من هذا المنطلق وقع اختياري على موضوع الفرق الكلامية بصفة عامة و فرقة المعتزلة بصفة خاصة نظرا لأهمية هذا الموضوع في مسيرة الفكر الفلسفي الإسلامي و بحكم دراستنا له في السنوات الماضية و بالتالي لدى

خلفية و إن كانت بسيطة حول علم الكلام و لهذا تناولت الإشكالية التالية : هل ساهمت الفرق الكلامية عموما و فرقة المعتزلة خصوصا في بزوغ الحضارة العربية الإسلامية ؟. و قد اعتمدت نظام الفصول فقسمت الموضوع إلى فصلين يسبقهما مقدمة و مدخل و تليهما خاتمة حيث تناولت في الفصل الأول : علم الكلام ، نشأته و تطوره فتطرقت فيه لعلم الكلام و تاريخه ، موضوعه و سبب تسميته ، عوامل نشأته الداخلية و الخارجية و المذاهب الكلامية أما الفصل الثاني بعنوان أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي . حيث احتوى خمسة مباحث : نشأة المعتزلة ، الأصول الخمسة المعتزلة و أهم خصائصها المذهبية ، المنهج الاعتزالي ، صراعات المعتزلة مع المذاهب الأخرى و أخيرا أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي أما الخاتمة فهي حوصلة لنتائج البحث .

أما فيما يخص المنهج الذي فرض نفسه في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي . هذا و قد اعتمدت على ثلاثة مراجع أساسية: في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية) لأحمد محمود صبحي، و الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي و فجر الإسلام لأحمد أمين .

مكة المكرمة

بدأ الإسلام ببناء العقيدة الإسلامية _ مثله في ذلك مثل أي دين أخر _ لأن العقيدة أساس العمل والسلوك وتدور مسائل العقيدة حول التوحيد والنبوة والوحي فتناول العلاقة بين الخالق والمخلوق وصفات الخالق وتنزهه والأخر والبعث[1]..... ولكن قبل مجيء الدعوة المحمدية شهد العرب في الجاهلية ديانات وعقائد مختلفة. فالدين هو الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة ويتجسد هذا بطقوس وعبادات يتمسك بها وهو يتوقف على عقلية الناس وحالة الإفراد ففي القديم كان فهم الناس لمسببات الحوادث يختلف عن فهمنا اليوم، فكانوا يرون أن وراء كل حركة أو ظاهرة قوة غيبية تسيرها، وفي اعتقادهم أن للقوي الغيبية تأثيرا أوسع مما نعتقده اليوم.

لم يكن الدين عملا فرديا أو محاولة شخصية لإظهار الروح الإنسانية بل هو عملية حية متبادلة بين الإنسان والقوى فوق الطبيعة. والأديان القديمة غالبا هي اجتماعية تتعلق بالقبيلة كلها فالإله هو للقبيلة تحميها ويشمل برعايته كافة أفرادها جميعهم.

وللناس علاقة وثيقة بالآلهة وقد يرث الفرد هذه العلاقات و يتأثر سلوكه بها باعتباره عضوا في المجتمع، والأعمال الاجتماعية العامة لها علاقة بالآلهة والبشر على حد سواء، علاقة متبادلة فالإله يَحمي القبيلة أو المجتمع ويدافع عنه وقد يضطر أحيانا أن يحَارب الآلهة الأخرى إذا اشتبكت القبيلة مع القبائل المعادية ولهذا ليس باستطاعة الفرد تغيير ديانته إلا إذا غيَّر قبيلته أو خرج عنها وهو أمر صعب وليس من السهل القيام به.

أما إذا حدث واختلطت القبائل ذات الآلهة المختلفة فإن اختلاطها يؤدي إلى إختلاط الآلهة. وهذا يتخذ أشكالا متعددة فقد يتم تغيير الإله الأصلي أو أن يضاف إليه صفات أخرى أو قد يصبح له إسمان، وقد تجعل آلهة القبائل الأخرى أولادا أو إخوة لإلاه القبيلة الأصلية[2]، ولهذا نشأت فكرة تعدد الآلهة أما كلمة دين فقلما وردت في مصادر الديانات الجاهلية وإنما عرفت قبيل

[1] مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، محمد علي أبو ريان، عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، السويس، د ط، ص 122

[2] حضارة العرب في عصر الجاهلية، حسين الحاج مؤنس، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان،2006، ط4، ص 162

الإسلام عن أمية بن أبي الصلت مثلا ولما جاء الإسلام حل الدين محل العادات والدين الجاهلي يشبه الأديان القديمة لم يبين على عقائد ولكن على مؤسسات و طقوس[1].

كان الدين قبل الإسلام منحصرا باليهودية والمسحية و الحنفية فالديانة اليهودية والنصرانية عرفت في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام وقد اختار اليهود المواطن التي تتناسب مع تجارتهم غير مهتمين بالدعاية لدينهم وكل ما يهمهم المحافظة على الحياة وعلى التجارة التي تعود عليهم بالمال الغزير وكانوا لا يحاربون رأيا إلا إذا وجدوا فيه خطرا يهددهم، لذلك حاربوا النصارى في اليمن لما وجدوا في انتشار النصرانية خطرا يكاد يقضي عليهم.[2]

أما عن أثر اليهودية في العرب الجاهلين فهو أثر محدود ومحصور بالجاهلين الذين كانوا على اتصال مباشر بهم، يقتصر على المثقفين من أهل الجاهلية ممن كان لهم رأي وبصر وتفكير في شؤون الحياة ليس مع طابع اليهودي أن يعلم دينه و أحكام شريعته لغير اليهود لأن اليهودية ديانة قومية خاصة بهذا الشعب وإن كنا نرى اهتماماتهم بسرد أساطير يهودية وقصص رجال يهود فهو على سبيل التبجح بالماضي لإفهام الشعوب بأنهم كانوا في الماضي شيئا عظيما أو في اعتقادهم فوق العظمة، ولا علاقة له بشريعة أو دين. وقد خلا الشعر الجاهلي من الكلام على اليهودية ومصدرنا الوحيد عنها هو القرآن الكريم وما ورد فيه من إشارات عن التوراة وعن أحكامهم فيه.[3]

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدرا خصبا من مصادر التاريخ وينبوعا صافيا من الينابيع ونوعا طريفا من أنواع القصص أيما اشتملت عليه من الوقائع و الأحداث[4]. قال المسعودي: "كانت العرب في جاهليتها فرقا منهم الموجد المقر بخالقه، المصدق بالبعث والنشور، موقنا بأن الله يثيب

---

[2] المرجع نفسه ص 163
[3] المرجع نفسه ص178
[4] أيام العرب في الجاهلية، محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي الدار النموذجية، صيدا بيروت، 2005، د.ط ص05.

المطيع[1]، ويعاقب العاصي." وكان من العرب من أقر بخالق و أثبت حدوث العالم و أقر بالبعث والإعادة، وأنكر الرسل وعكف عن عبادة الأصنام وقصدوها، ونحروا لها البدن، ونسكوا لها لنسائك و أحلوا لها وحرموا و منهم من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال إلى قول أهل الدهر، وهؤلاء الذين حكموا الله تعالى إلحادهم وخبر عن كفرهم[2]....

وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن التدين في الإنسان شيء طبيعي ويتناسب مع تكوينه الروحي و الفيزيولوجي، يقول أحد المفكرين " لو لم يكن للإنسان إله لاختراع إله" إلا أن التدين لم يسر دائما في اتجاه واحد ولذلك مبرراته، فالديانات السماوية تختلف عن الديانات الأرضية كما أن هده الديانات جميعها حسب تاريخ الأديان تكون قد تعرضت في حياتها إلى تيارات فكرية معارضة لما جاءت به بصورة كلية أو جزئية في أصولها أو في فروعها أو قيمها معا، هذه التيارات المعارضة تشكل في حد ذاتها تحد من أجل التعويض أو التحريف، ومن ثمة الابتعاد و الاندثار و الاختفاء والعقيدة الإسلامية واجهت من التحديات الفكرية ما لم تواجهه أي عقيدة أخرى ولذلك أسباب عديدة و مختلفة منها[3] :

أ/ سبب تاريخي : جاء الإسلام بعد كل الأديان السماوية وبعد الكثير من الديانات الأرضية التي كانت منتشرة في بلاد الهند و فارس، وجاء بمعتقد سهل وبسيط مناسب للإنسانية الإنسان، عكس الديانات السابقة وهدا ما جعل أصحاب هده المذاهب والأديان ينظرون إلى العقيدة الإسلامية على أساس أنه هو الخصم فأوردوا عليه جملة من الشبه والاعتراضات.

ب/سبب ذاتي : جاءت العقيدة الإسلامية ناسخة لكل الأديان السابقة وهي على حق وغيرها باطل ولا بد من زواله وكل ذلك زاد من الخصوم وكثرة الشبهات والاعتراضات كما كان فرصة

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسين علي المسعودي، الجزء الثاني. تقديم: محمد السويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر، 2007 د ط ص 123.
[2] المرجع نفسه، ص 124.
[3] تيارات فكرية، أحمد دكار ، كنوز الانتاج والنشر والتوزيع بوسعادة،المسيلة، ط1 ص 11.

لتقارب الأديان الأخرى من أجل القضاء على العقيدة الإسلامية، لا و بهذا تكونت معادلة غير متكافئة الأطراف طرق يمثل كل الأديان السابقة وطرف ثان تمثل العقيدة الإسلامية.[1]

ج/سبب سياسي : ازدادت الصراعات السياسية بين الدولة الإسلامية الفتية وغيرها من النظم السابقة وكانت العقيدة الإسلامية تجمع منذ نشأتها بين الجانب الدنيوي والأخروي، وعلى هذا الأساس بسط نفوذ الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وأمام هذا التنظيم المحكم ظهر ضعف الحضارات العريقة أمام الحضارة الإسلامية و لما أدرك أصحاب هذه الحضارات سر نجاح الدولة الإسلامية والذي يكمن في عقيدتها أوردوا عليها شبهات بأساليب مختلفة.

د/سبب اجتماعي ثقافي:دخل في العقيدة الإسلامية الناس أفواجا ومن جميع الملل والنحل وطبيعي أن البعض من هؤلاء كانوا يحملون رواسب من عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وخرافاتهم التي لم يستطيعوا التخلص منها فأصبحوا بذلك يفسرون عن حسن نتة أو غيرها العقيدة الجديدة فشكلت بذلك أنواع المعارضة للعقيدة الإسلامية وكان لزما على المسلمين أن يجدوا وسيلة للدفاع عن عقيدتهم ورد الشبهات والاعتراضات الواردة عليها وملاحظ يدرك أن هده الاعتراضات و الشبهات وجهت إلى القضايا الأساسية في العقيدة الإسلامية والتي هي بمثابة أركان لها نحيت لو سقطت واحدة لسقطت العقيدة بأكملها[2].

يمثل مضمون التحدي في كل الأمور الغيبية بدء بالألوهيات والبعث و الحشر والنشر و انتهاء بالنبوات، ففي الألوهيات واجه المسلمون فكرة تعدد الإله من جهات مختلفة أهمها المسيحية و أديان الفرسان، فالمسيحيون يعتقدون بالتثليث حيث أثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة قاصدين بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم (الأب، الروح القدس، الابن).

[1] تيارات فكرية، أحمد دكار ، كنوز الانتاج والنشر والتوزيع بوسعادة،المسيلة، ط1 ص 12
[2] المرجع نفسه ص 13

كما كانوا يبثون هذه الأفكار وبشتى الطرق في عقول الناس معتمدين على مغالطات منطقية لإثبات تجسد الكلمة في المسيح وكان في المجتمع الإسلامي من يروج لهذه الأفكار عن سوء فهم أو حسن نية، وسعى المسيحيون لإثبات تعدد إلههم ونقله إلى العقيدة الإسلامية بإثبات الهين، ذات الله وكلامه، ومحنة خلق القرآن تعد صورة واضحة عن تلك الأفكار، فإفساد فكرة التوحيد التي بينت عليها العقيدة الإسلامية روجت لها أديان كانت مشبعة بالفلسفة الإفريقية خاصة في جانبها الميتافيزيقي. فروجوا مثلا لفكرة أن العالم مركب من شيئين نور وظلمة وهما قديمان لم يزالا ولا يزالان، جاء في المغني للقاضي عبد الجبار " إن الخير والشر يستحيل مع تضادهما ووقوعهما من فاعل واحد، كما يستحيل أن يحصل التبريد والتسخين بالشيء الواحد والتبييض و التسويد بالشيء الواحد فادا وجب إثبات فاعلين لهما لم يصح إثبات محدث للعالم سواه فيجب إثبات أصلين قديمين" وكان لمثل هذه الآراء من يروج لها عند المتكلمين سواء من عامتهم أو من خاصتهم و بالأخص أولئك الدين يتقون بالعقل من غير حدود. إن هده الأفكار تعارض ركنا أساسيا جاء به القرآن الكريم[1]، يقول الله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]

وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[3]

وروج عبد الله بن سبأ لفكرة الاتحاد والحلول وكلاهما يعني اختلاط ذات الله أو جزء منها بذات الإنسان جزئيا وكليا ويتخذ الاتحاد والحلول علاقتين تصاعدية (صعود الإنسان إلى الله) وتنازليه (نزول الله إلى الإنسان)، يقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق " الحلولية في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع "

[1] المرجع نفسه ص 15
[2] سورة الأنبياء الآية 22
[3] سورة النحل ص 51

و يذهب البعض إلى إن مبدأ الحلول تمتد إلى العقيدة الثنوية وهي كلها أفكار مركبة ومختلطة ومشوهة كما نجد معظم هده الأفكار ليست شكل التصوف الغالي.

أما إنكار النبوة والدي يشكل تحديا لا يقل تأثيرا عن المضامين الأخرى فاعتمد القائلون بنكران النبوات على الأدلة العقلية المبينة بدورهما على المنطق الأرسطي في شكله السلبي كما نجد اليهود يروجون بشكل مباشر أو غير مباشر لفكرة الرجعة والمهدية بمعنى أن النبي أو الإمام يتغيب عن الناس ويعود يوما ليقيم العدل، معجزته الوحي الإلهي. فاليهود يعتقدون بعودة عزير مؤولين الآية حسب معتقدهم الباطل فالآية دلالتها واضحة و المقصود منها موجه عبر زمان ومكان[1]، يقول الله تعالى:﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾[2]

والمتأمل في آي القرآن الكريم يدرك ان الأمر يتعلق بإعجازه سبحانه وتعالى إما على شكل تحد أو إقناع أو حوار تعليمي، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[3]

[1] تيارات فكرية، أحمد دكار، ص 15.
[2] سورة البقرة، الآية 259.
[3] سورة البقرة 260.

وأمام هذه الاعتراضات والشبه الواردة على العقيدة الإسلامية ظهر علم الكلام كمظهر من مظاهر الفكر الديني الإسلامي فتكونت المذاهب الكلامية وشاعت الآراء، واحتدم التراع والصراع الفكري، وهدفه الرد على هذه الشبهات وان كانت في بعض الحالات تخرج عن اطارها الذي من أجله وجدت.[1]

[1] تيارات فكرية، احمد دكار، ص 16.

الفصل الأول

الفصل الأول

- **علم الكلام وتاريخه :**

مما هو شبه مسلم به عن جميع كتاب ومؤرخي المقالات الإسلاميين أن القرن الأول الهجري كاد أن ينصرم تماما دون أن يفرز المجتمع الإسلامي مدارس فكرية متأولة في دين الله محددة المعالم واضحة الهدف، كما أنه لم يفرق هذا المجتمع. بالرغم من كثرة الأجناس والثقافات التي تموج بها الأقاليم. الإسلامية نمط من التفكير المكتمل المعالم والمتأثر بالأفكار الأجنبية معاديا لروح أمة الإسلام و لم يوجد هذا النوع من التفكير الذي لم يكتمل أبدا طوال القرن الأول سواء أكان من إبداع المجتمع الإسلامي أو من مؤثرات المجتمعات والعقائد التي انضوت تحت لواء الإسلام، وبالرغم من انشقاق الجبهة السياسية في نهاية حياة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى موقفين متعارضين لمؤثرات الحروب الثلاثة. الجمل وصفين و حد وراء إلا أن مردود الشقاق لم يكن حتى ذلك التاريخ مما يشكل مذهبية عقيدية تصطدم تماما ومقومات المجتمع الاسلامي وعقائده اللهم الا دلك النمط من التفكير الذي تبت جدوره المهجنة بأفكار غريبة على نمط وأساليب الحياة العامة المسلمين في نشأة كل من الرجلين : وصل بن عطاء[1] وعمرو بن عبيد قرب نهاية القرن الأول – أي حوالي يام 80 هـ.

إن علم الكلام حسب تعريف التهانوي له : هو علم يقتدر منه على اثبات العقائد الدينية مع الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه.

يتضمن هذا التعريف أن المتكلم يتخد العقائد الدينية قضايا مسلما بها تم يستدل عليها بأدلة العقل حتى وان أمكن الاهتداء إلى هذه[2] العقائد بالعقل مستقلا عنها وفي دلك يقول التهانوي " يجب أن نأخذ العقائد من الشرع ليعتد بها، وان كانت مما يستقل العقل فيه أما العقائد الدينية أو أصول

[1] المتكلمون في ذات الله وصفاته والرد عليهم، صابر عبد الرحمن طعيمة مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ط1 ، ص65.
[2] في علم الكلام (دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين) أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985 ط 5 ص 16

الدين فأهمها التوحيد و النبوة والمعاد، و بالأحرى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وتدور هده المسائل جميعا حول الله – ذات وصفات وأفعال – يقول الإيجي المتوفي عام 756 وقيل في موضوعه هو ذات الله تعالى إذ يبحث فيه عن صفاته و أفعاله في الدنيا كحدوث العالم وفي الآخرة كالحشر، وأحكامه فيها كبعث الرسل ونصب الإمام وإذ تدور هذه المسائل وغيرها حول الله سمي هذا العلم بعلم التوحيد وقد سمي أيضا علم أصول الدين لأنه يتعلق بالأحكام الأصولية أو الإعتقادية في مقابل علم الفقه الذي يتعلق بالأحكام الفرعية أو العملية وتؤكد تعريفات أخرى لعلم الكلام أوجه الاختلاف بينه وبين الفقه من ناحية ثم بينه وبين الفلسفة من ناحية أخرى، يقول الفارابي المتوفي في عام 339هـ صناعة الكلام يتقد ربها الإنسان على نصرة الآراء و الافعال المحددة التي صرح بها واضع الملة وتزييق كل ما خالفها بالأقاويل...

وهي الفقه لأن الفقه يأخذ الآراء و الأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة وتجعلها أصولا، فيستبط منها الأشياء الآزمة عنها، والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من الغير أن تبسط منها أشياء أخرى.[1]

لقد مر علم الكلام بأربعة أدوارهم :

أولا : تقرير العقائد الدينية في عهد النبي (ص) :

جاء الإسلام يقرر أن الدين الحق واحد، وهو وحي الله إلى أنبيائه فالأصول فيه لا تتغير ولا تتبدل ولا تختلف عليها الرسل ولقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بالكتب الناطقة بالتوحيد والتوحيد هو عبادة الله وحده بلا شرك قال تعالى:﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴾[2]

[1] تيارات فكرية، أحمد دكار، ص 18.
[2] سورة البقرة، الآية 163.

وجاءت الدعوة المحمدية داعية إلى وحدة المسلمين بكتابه المعجز وكان على القرآن الكريم أن يكون المعاني الدينية وأن يجادل أصحاب البدع والأقاويل التي أثيرتا حول العقيدة الإسلامية إلا أن القرآن الكريم لا يعد بحال كتابا جدليا لان العقيدة أساسها الإيمان لا الجدل وقد مضى زمن النبي صلى الله عليه و سلم والمسلمون على عقيدة واحدة دستوره القرآن الذي يمثل المرجعية المطلقة وحامل هده المرجعية بشبه فعلا وقولا وتقريرا و لم يكن هناك خلاف ظاهر بين المسلمين لسببين رئيسين:

- تزول القرآن بالتدريج حسب الوقائع والأحداث.
- الأسئلة الطارئة التي كانت توجه إليه عليه السلام.

ومهما رويت عن المسلمين من الوان الجدل فقد نهاهم الرسول (ص) عنها[1] ودعاهم بالمقابل إلى الاحتكام إلى الكتاب للإقناع والاقتناع يقول عليه السلام :"**ينهاكم الله عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**" وكان لزاما مع المسلمين ان يمثلوا ما جاء في القرآن، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[2].

ثانيا: العقائد الإيمانية في عهد الخلفاء الراشدين

سار الخلفاء الراشدون في بداية الأمر على ما كان عليه النبي عليه السلام، إلا أنه حدث في عهدهم خلاف في أمور اقتصادية لم تتصل مباشرة بالقضايا العقدية مما جعل استمرارها يؤثر على أحكام لها صلة بأمور العقائد، وعلى قواعدها قام كثير من الفرق والطوائف الكلامية وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) اختلافهم في الإمامة ومن الأحق بها،

[1] تيارات فكري، احمد دكار، ص 19
[2] سورة النساء آية 43

والشورى بين الصحابة وتنصيص أبي بكر على عمر ومقتل عثمان ومبايعة علي ابن طالب وخروج الزبير بن العوام في مقاتلته علي و معركتي الصفين والجمل وقتال معاوية، ومقتل علي ابن أبي طالب[1] على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي و الوقائع الأخرى التي تعرضت بالتحليل إلى الزيادة والتشويه في كثير من الأحيان ويكفي أن نطلق عليها تاريخيا الفتنة الكبرى وما ينتج عنها أبعاد قيدية وسياسية واجتماعية فهي بلا شك مادة خام وتفرشة لمظاهر الجدل عند الفرق الإسلامية.

ثالثا/ العقائد الدينية في عهد بني الأمية:

اشتد النـــزاع الفكري في هذا العهد بين الفرق الإسلامية واستخدمت كل الوسائل الدفاعية من اجل المناظرة والغلبة وتجاوزت هده الفرق الأدلة النقلية إلى الأدلة التي قد لا تقف عن الحدود التي من أجلها وجدت، فظهرت المعتزلة على يد واصل بن عطاء الذي أخذه بدوره عن إمامة أبي هاشم عبد الله بن محمد، كما ظهرت جذور لفرق كلامية أخرى[2].

رابعا/العقائد الدينية من عهد العباسيين:

لم يبلغ علم الكلام درجة النضج الكامل إلا في العصر العباسي الذهبي، وفي أوائل هذا العهد ظهر التدوين في العلم الكلام، كما ألفت فيه عشرات الكتب شأنه شأن العلوم الإسلامية الأخرى وكان أول من كتب في الكلام على نطاق واسع[3] ابو حامد العزابي[4] وتبعه فخر الدين الزاري لينتقل علم الكلام في مرحلة لاحقة من هذا العهد إلى مخالطة الفلاسفة حتى أصبح الناس لا يفرقون بين الكلام العقيدي و التأمل الفلسفي ففي عصر الضعف أصاب علم الكلام ما أصاب العلوم

[1] تيارات فكرية، أحمد دكار، ص 20.
[2] المرجع نفسه، ص 21.
[3] المرجع نفسه ص 20
[4] ولد أبو حامد الغزالي سنة 450 هـ في ضاحية غزالة لمدينة طوس من أعمال خرسان كما ترك حجة الإسلام عددا كبيرا من المؤلفات في مختلف حقول الفكر ففي التصوف والأخلاق له: احياء علوم الدين،ميزان العمل، ... وفي الفلسفة والمنطق: مقاصد الفلاسفة تهافت الفلاسفة، معارج القدس فضلا عن كتاب المنقذ من الظلال.

الأخرى من الوهن فضعفت الهمم عن الدراسات الكلامية وانصرف الجميع إلى المناظرات اللغوية الكلامية الجوفاء.

موضوع علم الكلام وسبب تسميته.

أ) موضوعه.

يطلق على علم الكلام علم التوحيد والصفات لان موضوعه هو ذات الله وصفاته وأفعاله في الدنيا، كحدوث العالم وفي الآخرة كالحشر وأحكامه فيهما كبعث الرسول ونصب الامام والثواب والعقاب[1] فقد أشار طاش كبرى زاده – (ت عام 962هـ) إلى موضوع علم الكلام بانه الوجود من حيث هو وجود وانما يمتاز عن العلم الالهي الباحث عن اصول الوجود المطلق باعتباره الغاية، لان البحث في الكلام على قواعد الشرع و في الالهي على مقتضي العقل، فالتكلم يستند إلى ما جاء اليه الدين من اعتقادات تم يلتمس الحجج العقلية التي تدعمها، أما الفيلسوفي فيحث بعقله ويرى حقا ما توصل إليه بالدليل دون نظرا إلى ما جاء به الدين، المتكلم يعتقد تم يستدل أما الفيلسوف فسيدل ثم يعتقد[2].

[1] علم الكلام بين الدين والفلسفة، ابراهيم محمد تركي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2008 ، ط1، ص 18.
[2] في علم الكلام (دراسة فلسفية لأراء الرق الإسلامية في أصول الدين) أحمد محمود صبحي، ص 18.

ب) سبب تسميته

لقد ذكرت أقوال كثيرة في سبب تسميته هذا العلم بالكلام يقول الايجي المتوفى عام 756 هـ"وإنما سمي الكلام أما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، وإما لان أبوابه عنونت أولا "الكلام في كذا" او لان مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيه التشاجر و السفك فعلب عليه أو لأنه يورت قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم.

وعبارة الايجي تفيد ان المتكلمين أرادوا مقابلة علم الكلام بالمنطق فكما أن الأخير تمكن الفيلسوف من الاشلال. فكذلك علم الكلام يورت من تمارسه قدرة مع الكلام ولذا حصة المتكلمون بهذا الاسم ويذكر لفظ "كلم" كثيرا بمعنى جادل أو ناضر ولكن هل نبني المتكلمون الأوائل هده التسمية وجعولها علما على علمهم؟ إن المعتزلة وشيخهم واصل بن عطاء المتوفى عام 131 هو أول من فتق الحديث في علم الكلام ولا تدل أسماء كتبه أو أقواله انه استخدام هذا اللفظ كاسم لعلم متمايز.

أما القول في التعليل التسمية أن أبواب هذا العلم تبدأ معنوية بالكلام في... فليس علم الكلام وحده دون سائر العلوم هو الذي اختص بهذا النحو من التبويب.

وبين أن اصح الأقوال في دلك هو الرأي الثالث فمسألة "كلام الله" أو خلق القرآن[1] هي أشهر المسائل التي ثار حولها الخلاف بين المتكلمين زمن المأمون، إذا احتم الصراع إلى حد الاضطهاد وسفك الدماء بين المعتزلة والحنابلة حول مشكلة هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ هل كلام الله محدث أم قديم؟ فانطلقت التسمية على العلم بأكمله.

ويضيف ابن خلدون تفسيرا رابعا: وسمي علم الكلام لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة إلى عمل.

[1] المرجع نفسه ص 19.

وتشير عبارة ابن خلدون إلى مقابلة علم الكلام – وكل ما فيه نظرا وكلام – بالفقه الذي يتعلق بالعبادات و المعاملات وكلها عمل ومقابلة الكلام بالفقه من قبيل مقابلة الأقوال بالأفعال من حيث أن علم الكلام ليس تحته عمل يعكس الحال في علم الفقه وهذه المقابلة ترد كثيرا عبارات مصنفي العلوم ولكنها تبرير للتسمية، وليست تفسيرا لنشأتها أي أنها لاحقة وليست سابقة عليها[1]

[1] المرجع نفسه ص 20.

عوامل نشأة علم الكلام:

أولا: العوامل الداخلية.

1- القرآن الكريم:

أثارت الآيات المتشابهات في القرآن الكريم تفسيرات وتأويلات مختلفة مما دعى العقل إلى النظر فيها فقد أثارت على سبيل المثال الآيات المتعلقة بالجبر والاختيار-نقاشا عقليا بين منكر للحرية ومثبت لها، لأن هذه الآيات تركت الباب مفتوحا للقول بالجبر أو القول بالحرية و لم تقطع برأي بعينه، ومن هنا بدأ العقل يتساءل: كيف يمكن أن يكون الإنسان مختارا أو مجبورا في آن واحد؟ هل للإنسان إرادة يدبر بها؟ وما صلة هذه الإرادة بإرادة الحق تعالى؟ وما معنى اختيار الإنسان؟ إذا كان له اختيار، وكيف يتم التكليف مع كونه مجبرا؟ وكذلك ما تفسير الثواب والعقاب مع القول بالجبر؟ كل هذه التساؤلات عرضت للعقل الإنساني عندما أمعن في فهم نصوص القرآن الكريم مما دعاه إلى الاجتهاد فيها[1].

كما أثارت أيضا الآيات المتعلقة بالصفات نقاشا عقليا حولها ذلك أن بعضها قد أشار إلى تشبيه أو تجسيم إذا أخذت على ظاهرها.

وإلى جانب ذلك فقد احتوى القرآن الكريم على ذكر العقائد المخالفة للإسلام وعلى الحجج الداحضة لها، فكان ذلك من العوامل التي أثارت عقول المسلمين إلى البحث في العقائد وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة مثل هذه الآيات لابد وأن تثير عند قرائها تساؤلات حول تلك العقائد والمذاهب والأديان المخالفة وحول الفرق بين كل منهما وبين العقيدة الإسلامية.[2]

كما ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام على نحو رده على الدهرية، وعبدة الكواكب، ومنكري النبوات، ومنكري البعث، وأصحاب الديانات السماوية من

[1]- دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال المرزوقي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ط1، ص19.
[2]- المرجع نفسه، ص20.

اليهودية والمسيحية، ولقد اشتمل القرآن الكريم أيضا على المادة الأساسية التي كونت موضوعات علم الكلام، فنحن واجدون فيه عرضا للأدلة على وجود الله تعالى، تلك الأدلة التي تكاد تكون بعينها الأدلة التي استند إليها المتكلمون في هذا الصدد مما يشير إلى اعتمادهم على القرآن الكريم في هذا الجانب، فقد تميز القرآن الكريم بأنه جعل نقطة البداية لمعرفة الله تعالى ما يشاهده الإنسان في الكون وفي نفسه ونجده ينبه في كثير من آياته التي تناولت العالم وخلقه إلى قدرته تعالى، وبديع صنعه، من هذه الآيات استخلص علماء الكلام والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكونية بوجه عام دليلا على وجود الله تعالى، وهو الدليل المسمى بدليل التدبير أو دليل الإتقان والأحكام، وهو يتلخص في الاستدلال من النظر في نظام العالم على وجود صانع قادر حكيم طبقا لمبدأ عقلي هو مبدأ العلية الذي يقضي بأن كل حادث، وكل شيء يقع على نحو ما لابد له من علة كافية.[1]

ولقد كان هذا الدليل من أقوى الأدلة التي استند عليها المتكلمون والفلاسفة في إثبات وجود الله تعالى بل وجميع من تعرض لهذه الفكرة قديما وحديثا.

كما أشارت الآيات القرآنية إشارة واضحة إلى مشكلة كلامية هامة اختلف المسلمون حولها، بل اقتتلوا بسببها، وهي مشكلة كلام الله هل هو قديم قدم الله تعالى؟ أم هو محدث مخلوق، فلقد أشارت الآيات القرآنية إشارات واضحة إلى هذين القولين.

وهكذا، كانت نصوص القرآن الكريم، بما احتوته من بعض الآيات المتشابهات، وما أثارته من تفسيرات وتأويلات مختلفة ولما احتوته أيضا من شرح لعقيدة التوحيد وذكر للعقائد المخالفة لها، نقول كانت نصوص القرآن الكريم من العوامل التي دعت إلى ظهور علم الكلام[2]، وذلك لأن هذه النصوص غما أن تكون أثارت في عقول بعض المسلمين حب البحث في العقائد الإسلامية وتقضي العقائد المخالفة لها، أو لأن بعض هذه النصوص من قبيل المشابه الذي لا يشرك كل [illegible] كبعض

[1] المرجع نفسه، ص20.
[2] - المرجع نفسه، ص21.

الآيات في الصفات وغيرها، وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء لمثل هذه المتشابهات إلى مشكلات عقائدية عويصة، كانت فيما بعد موضوعا لعلم الكلام.

2- مشكلة الإمامة:

اختلف الناس بعد النبي صلة الله عليه وسلم في أشياء كثيرة أولها اختلافهم في الإمامة وأسباب هذا الخلاف من الناحية التاريخية راجع إلى أن الرسول (ص) قد انتقل إلى الرفيق الأعلى و لم يستخلف أحدا بعده فكان اجتماع السقيفة الذي أسفر على مبايعة أبي بكر خليفة قم عين أبو بكر عمرا خليفة من بعده، ثم جعل عمر الشورى في ستة وقلد عبد الرحمن بن عوف أحد الستة وهو عثمان بن عفان الخلافة، ثم كان مقتل عثمان بن عفان نذيرا باندلاع الفتنة الكبرى والحرب الأهلية بين المسلمين و لم يستقر الرأي أو الأمر لعلي، وغنما نافسه طلحة والزبير فضلا عن معاوية المطالب بدم عثمان، وخروج بعض شيعته عليه، إذ لم يكن خلافهم على علي طمعا في أن يكون أحدهم خليفة كما هو الحال بالنسبة للطامعين فيها، أمثال طلحة والزبير ومعاوية، وإنما اختلافهم حول المبادئ، فلقد أثاروا لأول مرة في الفكر الإسلامي مشكلات سياسية مثل وجوب الإمامة ومدى أحقية قريش باستئثار الخلافة، ثم كان قتل علي بيد أحد الخوارج، وبعد ذلك كانت كارثة كربلاء والسيف الذي جز رقبة الحسين بن علي وجز معه وحدة المسلمين إلى اليوم، إذ لازال أكبر انشقاق مذهبي بين المسلمين هو انقسامهم إلى سنة وشيعة وهكذا أصبح البحث في الإمامة محور الخلاف بين أهل السنة والشيعة[1].

3- الحكم على مرتكب الكبيرة:

لم تكن مشكلة الإمامة وحدها التي أثارها الخوارج وإنما أثاروا موضوعا آخر يتصل بالحكم على مرتكب الكبيرة مثل، سفك الدماء واغتصاب الأموال فقد أعلن الخوارج تكفيره، حتى يحل لهم بعد ذلك محاربته ورأى فريق آخر إرجاء الحكم عليه إلى يوم القيامة إن شاء الله عذبه[2] وإن شاء

[1]- الفلسفة العربية الإسلامية (الكلام و المشائية و التصرف) أنور سعديين، توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، 2000، ط2، ص 10.
[2] - المرجع نفسه، ص 11.

غفر له، وهذا رأي المرجئة، فلا يضر مع الإيمان معصية وأن فاعل الكبيرة مؤمن وظهرت فرقة ثالثة وهي المعتزلة أعلنت أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن-كما ذهب المرجئة-ولا هو كافر -كما ذهبت الخوارج-إنه في منزلة بين المنزلتين ذلك أنه يشبه المؤمن في عقيدته ولا يشبهه في عمله، ويشبه الكافر في عمله ولا يشبهه في عقيدته.

وقد لزم عن ذلك بحث في مفهوم الإيمان، هل يقتضي العمل الصالح، كما ذهب إلى ذلك الخوارج والمعتزلة أم أنه في القلب فقط أم في القلب وعلى اللسان، كما أعلنت المرجئة، وهل الإيمان يزيد وينقص بزيادة صالح الأعمال أم أنه لا يزيد ولا ينقص مادام في القلب فقط؟

ولهذا فمشكلتي الإمامة ومرتكب الكبيرة كان لهما أكبر الأثر في نشأة الفرق الكلامية المختلفة وفي اختتام واختلاف الرأي بينهما[1].

ثانيا: **العوامل الخارجية.**

يمكن القول بأن علم الكلام نشأ نشأة إسلامية بفضل عوامل إسلامية غير أنه يمكن القول أيضا بأن هناك مؤثرات أجنبية من خارج البيئة الإسلامية أعانت على تطور علم الكلام بتوسيع مباحثه وتعميقها تتمثل هذه المؤثرات في أصحاب الديانات الأخرى التي انتشر الإسلام في أقطارها والتي جاء علم الكلام وليد صراع فكري بين المسلمين وأصحاب هذه الديانات الأخرى.

أ- **بين الإسلام واليهودية:** التقى المسلمون باليهود واختلفوا معهم منذ البداية في نقاط كثيرة كانت موضع نقاش وجدال بين الفريقين وصارت من أهم موضوعات علم الكلام فيما بعد ولعل أهم هذه النقاط ما يلي:

1- إنكار اليهود لنبوة محمد (ص) ونبوة عيسى عليه السلام، فقد ذهبوا إلى أن الدين لبني إسرائيل فقط، وليس ثمة أنبياء وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدال بين المسلمين واليهود، وقد لزم عن هذا الإنكار مشكلة كلامية وهي النسخ، إذ أنكر[2] **اليهود أن يأتي نبي من بعد موسى**

[1]- المرجع نفسه، ص12.
[2]- المرجع نفسه، ص13.

ينسخ شريعته إذ لا تكون الشريعة إلا واحدة ابتدأت بموسى وتمت به، فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية.

2- التشبيه والتجسيم: نزع اليهود إلى التشبيه والتجسيم وذلك لأنهم وجدوا التوارة مليئة بالمتشبهات من "التكلم جهرا" والنزول عن طور سيناء انتقالات والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤية خوفا وغير ذلك.

3- وإذا كان الإسلام قد رفض صورة البشرية التي أضفتها اليهودية على الله فإنه قد استنكر كذلك ما تنسبه التوراة إلى معظم الأنبياء من رذائل بل كبائر، ليس فحسب لا تليق بمقامهم بل لا تصح أن تصدر من فرد عادي[1].

وقدم القرآن صورة أخرى للأنبياء تجعلهم في المكانة التي تليق بهم وقد أوجب المتكلمون العصمة عن الكبائر وأصبحت عصمة 'الأنبياء' إحدى موضوعات علم الكلام.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن اليهود قد انتهزوا الفرصة للتسلل إلى نطاق إسلامي خطير وهو مجال التفسير، وكيف انتشرت الإسرائيليات في هذا المجال حيث انتشرت في مجال الحديث النبوي وألقت بأفكار التشبيه والتجسيم وأحاديث عن الميعاد والمهدي المنتظر والمسيح الدجال وقد لعبت هذه الأحاديث والأفكار دورا خطيرا في ظهور الحشوية في الإسلام وأعقبها نشأة المشبهة ثم المجسمة[2].

ومن مظاهر الإسرائيليات كذلك الاعتقاد بالرجعة أي رجوع بعض الأفراد إلى الحياة بعد الممات، فقد أمات الله عزيرا مائة عام ثم بعثه واعتقد بعض اليهود برجعة هارون بعد أن نسبوا إلى موسى أنه قتله جسدا وقد كانوا إلى هارون أميل، وذهب بعض غلاة الشيعة إلى القول برجعة علي وتذهب الشيعة الاثني عشرية إلى أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، أو المهدي المنتظر قد غاب وسيرجع والاعتقاد بأن إلياس النبي صعد إلى السماء وسيعود.[3]

---

[1]- في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، أحمد محمود صبحي، ص40.

[2]- المرجع نفسه، ص41.

[3]- الفرق الإسلامية، محمد عمارة، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، دت، دط ص 25.

وقد كان من نتائج الأثر الضخم لتسرب الإسرائيليات إلى فكر بعض فرق المسلمين أن أصبحت كل فرقة إسلامية تتهم الفرق التي تخاصمها بالابتعاد عن الطريق الحق، ولكن البعض من المتكلمين-خاصة المعتزلة-وقف يذود عن الإسلام ويؤكد التنزيه وإمكان نسخ الشرائع وعصمة الأنبياء والتدليل على النبوة كل من المسيح والمصطفى عليهما السلام[1].

ب- **بين الإسلام والمسيحية:** التقى الإسلام بالنصرانية في شبه الجزيرة العربية قبل أن يلتقي بها في البلدان المفتوحة كالشام ومصر، وقد اعتنقت بعض القبائل في الجاهلية الديانة المسيحية على أيدي بعض الرهبان، ويمكن القول أن نقاط الخلاف بين الديانة الإسلامية والمسيحية تركزت في: التثليث، الاتحاد والصلب وعبادة المسيح وإليك موقف القرآن من هذه النقاط الأربع:

- أنكر القرآن الكريم انكارا صريحا قولهم بالتثليت، في قوله:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[2].
- كما عارض القرآن الاتخاذ لجميع صوره، فرد على أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة-أي الذين قالوا أن الله تعالى والمسيح بن مريم عليه السلام من طبيعة واحدة-في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾[3].

معنى ذلك أن القرآن الكريم، قرر أن المسيح إنسان مخلوق وخلقه الله كما خلق آدم، خلقه من تراب، وهو رسول لبني إسرائيل. يجد الناظر في هذه الآيات أن القرآن الكريم يقرر بشرية المسيح،

[1]- المرجع نفسه، ص26.
[2]- سورة المائدة، آية 73.
[3]- سورة المائدة، آية 17.

ويوضح حقيقته أنه رسول لبني إسرائيل، ويعارض القرآن مسألة الصلب، ومعللا أنهم ما صلبوه وما قتلوه، ولكن شبه لهم هذا، وقد أنتج لنا لقاء المتكلمين مع المسيحيين مشكلات هامة حول ذات الله وصفاته وكلام الله وتفسير الخير، والشر والمسؤولية، خاض المتكلمون في هذه المشكلات وكانت لهم فيها آراء شكلت تاريخ علم الكلام وساعدت على توسيع موضوعاته وتطورها، حقيقة أن لهذه المشكلات أصولا في الكتاب والسنة ولكن هذه المواجهة الفكرية لأهل الكتاب هي التي أبرزت النقاش والجدال حولها.

ولا ننكر أن بعض أفكار المسيحيين قد تسربت إلى فكر المسلمين فقد تسربت إليه فكرة رفع عيسى إلى السماء بجسمه وروحه، وأنه لم يمت وأنه سيعود.

ج- **بين الإسلام وديانات الفرس والهند:** يتصل الخلاف بين المسلمين وديانات الفرس بالجانب الأخلاقي، وبوجه خاص مشكلة الشر-أصله ونشأته- وهل يمكن نسبته إلى الله الواحد مع عدله أم إلى موجود آخر، وهل الشر قديم قدم الخير فهما متساويان؟ إذن كيف يمكن الأمل في الخلاص يوما ما من الشر وهو يطاول الخير؟ وإذا كان الشر حادث والخير قديما فكيف نشأ الشر من الخير، وكيف رضي الأخير بذلك؟ وهل كان ذلك منه عن قصد؟ وكيف يقصد الخير شرا أم كان اتفاقا ومصادقة وكيف يوجد الشر كذلك؟[1]

تحتل هذه المشكلة-مشكلة الشر- مكانا بارزا في ديانات الفرس زرادشيه ومانوية ومزدكية، وكان على المتكلمين أن يجدوا حلا إسلاميا لتفسير الشر، هل ينسب إلى الله تعالى، أم إلى إبليس وكيف رضي تعالى ببقاء إبليس ليظل الناس ويغريهم بما خالف الإسلام.

هذا عن بعض أثر احتكاك المسلمين بديانات الفرس، وما ولوه من إثارة بعض المشكلات الأخلاقية التي كان لزاما على المتكلمين أن يجدوا حلا إسلاميا لها.

[1]- دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال المرزوقي، ص25.

أما عن أثر الديانات الهندية ونشأة وتطور علم الكلام، فتجدر الإشارة إلى أن المسلمين قد اتصلوا بالهند بحرا عن طريق البصرة وبرا عن طريق[1] فارس، ووقفوا على دياناتهم الكبرى، وخاصة البراهمة ولها عقيدتان الأولى القبول بتناسخ الأرواح، أي بقاء النفس بقاءا أبديا وانتقالها الدائم من بدن إلى بدن وهي في انتقالها في الأبدان المختلفة تترقى أي تنتقل من البدن الأول إلى الأفضل دون أن يكون العكس وارتبط الثواب والعقاب أي تفسير الجنة والنار بالتناسخ.

وقد وقف المتكلمون من القول بالتناسخ وقفا عدائيا لأنه يرتبط بتفسيرات خاطئة للثواب والعقاب وقاوموا كل من تسرب إليه القول بالتناسخ، مقاومة عنيفة لا مودة فيها.

والقضية الثانية قولهم بإنكار النبوة بحجة أن بعثة الرسل تتنافى وحكمة الله تعالى لأن الحكيم لا يبعث رسولا إلى قوم يعلم أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته، فضلا عن أن بعثة الرسل إذا كانت قد جاءت لإخراج الناس من الظلال إلى الإيمان، فإن الحكمة تقضي بأن يفطر الناس على الإيمان، غير أن أهم حجة لهم هي استغناؤهم بالعقول عن الأنبياء، لأن الذي يأتي به الأنبياء والرسل يمكن للعقل التام إدراكه والوصول إليه، وبالتالي فلا حاجة لنا إلى الرسول والنبي.

ولهذا فقد كان للمواجهة الفكرية بين الإسلام وسائر الأديان أثره في نشأة موضوعات علم الكلام، فقد لزم عن المواجهة اليهودية والإسلام موضوعات تتعلق بالتنزيه والتشبيه، وبإمكان نسخ الشرائع ثم بعصمة الأنبياء وبين المسيحية والإسلام ظهرت موضوعات تتعلق بموقف القرآن الكريم من التثليث والاتحاد والطلب وعبادة المسيح وعن المواجهة بين الإسلام وديانات فارس والهند وظهرت جوانب ميتافيزيقية متعلقة بالأخلاق أو بالأحرى البحث في أصل الشر ودوافع المسلمون عن النبوات وأنكروا التناسخ ردا على اعتقادات الديانات الهندية والبراهنة[2].

[1]- المرجع نفسه، ص26.
[2]- المرجع نفسه، ص27.

المذاهب الكلامية:

يمكن تقسيم الفرق الكلامية إلى خمس فرق رئيسية هي: المعتزلة، أهل السنة، الشيعة، الخوارج، المرجئة علما أن هذه الفرق تشتمل على فرق أخرى اختلفت في قضايا لم تصل إلى درجة القطيعة عكس ما نلاحظه في الفرق الرئيسية وكانت المناظرات التي يجريها هؤلاء هي مناظرات في الأصول (التوحيد، العدل، الوعد، السمع، العقل).

1- الخوارج:

سبب تكوينهم: لما كانت وقعة الصفين بين علي ومعاوية وطلب معاوية تحكيم كتاب الله اختلف أصحاب علي أيقبلون هذا التحكيم لأنهم يحاربون لإعلاء كلمة الله وقد دعوا إليها، أم لا يقبلون لأنها خدعة حربية لجأ إليها معاوية وصحبه لما أحسوا بالهزيمة؟ وبعد جدال وتردد قبل علي التحكيم، واختار معاوية عمرو بن العاص ليمثله، واختار أصحاب علي أبا موسى الأشعري، إذ ذاك ظهر قوم من جند علي أكثرهم من قبيلة تميم، نفروا من أن يحكم أحد في كتاب الله ورأوا أن التحكيم خطأ لأن حكم الله في الأمر واضح جلي، والتحكيم يتضمن شك كل فريق من المحاربين أيهما الحق، وليس يصح هذا الشك، لأنهم وقتلاهم إنما حاربوا وهم مؤمنون-بلا شك- إن الحق في جانبهم: هذه المعاني المختلجة في نفوسهم صاغها أحدهم في الجملة الآتية "لا حكم إلا لله"، فسرت الجملة سير البرق إلى من يعتنق هذا الرأي وتجاوبتها الأنحاء وأصبحت شعار هذه الطائفة.

طلبوا من علي أن يقر على نفسه بالخطأ بل بالكفر، لقوله التحكيم ويرجع بما أبرم مع معاوية من شروط، فإن فعل عادوا إليه وقاتلوا معه فأبى علي، وكان موقفه في منتهى الدقة فكيف يرجع عن اتفاق أمضاه والدين يأمر بالوفاء بالعهود ولو رجع لتفرق عنه أصحابه[1]، وكيف يقر على نفسه بالكفر ولم يشرك بالله منذ آمن، فضايقوه بالإكثار من "لا حكم إلا الله" فإذا خطب في المسجد قاطعوه بقولهم "لا حكم إلا الله"، وزاد بعض الناس ميلا إلى رأيهم فشل الحكمين في حكمها

[1]- فجر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975، ط11، ص252.

وخيبة الأملين في أن التحكيم يحقن الدماء ويعيد المسلمين إلى الوئام، حتى انضم إليهم بعض القراء-من جيش علي-فلما يئست هذه الجماعة من رجوع علي إلى رأيهم اجتمعوا في منزل أحدهم وخطب منهم أمير من المهاجرين، ورفض المهاجرين هذا الاقتراح أيضا، تمت البيعة لأبي بكر التيمي القريشي، و لم يكن علي حاضرا هذا الاجتماع لانشغاله هو وأهل بيته في جهاز رسول الله صلة الله عليه وسلم وأخذ العدة لدفنه، فلما بلغه خبر البيعة لأبي بكر لم يرض عنها، وتكون رأي ثالث وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي وأقرب الناس إليه (ص) عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه علي بن أبي طالب ولكن العباس لم يكن من السابقين إلى الإسلام، فقد حضر غزوة بدر مع المشركين و لم يسلم إلا آخرا فأولى الناس من قرابة النبي (ص)علي بن أبي طالب وهو من أول الناس إسلاما وزوج فاطمة بنت النبي (ص) وجهاده وعلمه وفضله لا ينكر وحجة أصحاب هذا الرأي إن أقرب الناس إلى النبي أولى أن يخلفوه، وإن بيت أبي هاشم خير من بيت أبي بكر[1]...

ظلت النظريات الثلاث تتعارض ووجد في العصور المختلفة من يؤيدها ويدافع عنها حتى النظرية الأولى-وهي نظرية الأنصار-فقد كان قوم يعتنقونها وإن لم يظهروا ظهورا بينا في التاريخ، أما النظريتان الأخيرتان فكانت الحرب بينهما أحكم والجدال أشد.

لما تمت النظرية القائلة بأولوية علي في عهد أبي بكر وعمر ولكن سكنت وخمدت وساعد على خمودها عدل أبي بكر وعمر وإنصافهما حتى من أنفسهما، وأنهما لم يعيرا العصبية القبلية أي التفات وزاد في سكونها اشتغال الناس بالحروب والفتوح ونجاحهم فلم يجد الناقمون مجالا يدخلون منه على الناس لإثارتهم الفتن[2].

ولما ولي عثمان تبرم علي وأنصاره وزادهم تبرما إن عثمان وهو أموي استعان بالأمويين فكان أكثر عماله منهم، وكان كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم الأموي، ولما قتل عثمان بايع عليا كثيرا من المسلمين فتحققت بذلك نظرية القائلين بحق علي في الخلافة من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه

[1]- المرجع نفسه، ص252.
[2]- المرجع نفسه، ص253.

وسلم، وأيده كثيرا من كبار المهاجرين لانطباق نظريتهم عليه أيضا وخرج علي على طلحة والزبير ومعاوية وكلهم بلصق بعلي تهمة إن له ملفا في قتل عثمان، ويقول كل من طلحة والزبير، أنه أولى بالمطالبة بدم عثمان لأنه من السنة الذين انتخبهم عمر للشورى، ومن السابقين الأولين للإسلام ويقول معاوية أنه أولى الناس رحما بعثمان أقوى أهل بيته على المطالبة بدمه.

ووجدت في هذا الموقف طائفة من كبار الصحابة لم تبايع عليا وتبايع غيره و لم تشرك في شيء من الخلاف القائم وفضلت العزلة ومن أشهرهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، محمد بن مسلمة، سعد بن أبي وقاس، أسامة بن زيد، حسان بن ثابت.

وظلت الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربا تكاد تكون متواصلة في شدة وشجاعة نادرة وأشرفوا في بعض مواقفهم على القضاء على الدولة وظل المهلب بن أبي صفرة تجادلهم ويعاني في قتالهم الشدائد والأهوال السنين الطوال[1].

تعاليمهم:

والحق أن مبادئ الخوارج وآرائهم السياسية والدينية مظهر واضح لتفكيرهم وسذاجة عقولهم وتعتمدها على قريش وأبرز مواقفهم في التحكيم حيث قالوا "أخطأ علي في التحكيم" إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله.... وتخطوا عن التخطئة إلى التفكير وكانت المحكمة الأولى يخرجون سيوفهم في الأسواق فيجتمع الناس على غفلة، فينادون "لا حكم إلا لله" فيضعون سيوفهم فيمن يلحق من الناس يرجع أو يقتل، فكان الناس منهم على وجل وفتنة وهم لا يكفرون عليا فحسب بل يكفرون عثمان وطلحة والزبير وعائشة ويعللون تكفيرهم عليا وعثمان بأن عليا حكم الحكمين وخلع نفسه عن أسرة المؤمنين وحكم في دين الله فكفروا عثمان ولي رقاب المؤمنين ولاة جور، فحكموا بغير ما حكم الله فكفر.

[1]- المرجع نفسه، ص254.

يتفقون الخوارج جميعا على تكفير علي وعثمان، كما وضعوا نظرية الخلافة وهي أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين وإذا اختير فليس يصح أن يتناول وليس بضروري[1] أن يكون الخليفة قريشا بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ولو كان عبدا حبشيا، وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين، ويجب أن يخضع خضوعا تاما لما أمر به الله وإلا وجب عزله.

كما نرى الخوارج في أول أمرهم كانت صبغتهم سياسية محضة، ثم نراهم في عهد عبد الملك بن مروان قد مزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث لاهوتية وأكبر من كان له أثر في ذلك الأزارقة اتباع نافع بن الأزرق، وأهم ما قرره الخوارج في العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل جزء من الإيمان ولسبب الإيمان الاعتقاد وحده، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر[2].

فرقهم:

1- النجدات: إتباع نجدة بن عامر وأهم تعاليمه التي أنفرد بها أن المخطئ بعد أن يجتهد معذور، وأن الذين أمران: معرفة الله ومعرفة رسوله، وماعدا ذلك فالناس معذورون بجهله إلى أن تقوم عليهم الحجة، ومن أداه اجتهاده إلى استغلال حرام أو تحريم حلال فهو معذور وأعظم جريمة الكذب والزنا وشرب الخمر[3].

2- الأباضية: نسبة إلى رئيسهم عبد الله بن إباض التميمي ولا يزال أتباعه في المغرب وغيره إلى اليوم وهم لم يغالوا في الحكم على مخاليفهم كالأزارقة بل قالوا: محل التزاوج منهم ويتوارث الخارجي وغيره ونزعتهم أميل إلى المسالمة فقالوا: لا تحل قتال غير الخوارج وسبيهم في السرغيلة

[1] آراء الخوارج الكلامية، عمار طالبي، الجزء الأولي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، دط، ص 48.
[2]- العقيدة والفرق الإسلامية، صبري خدمتلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، دط، ص58.
[3]- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، محمد بن عميرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، دط، ص50.

ولا يجوز إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة وإعلان القتال إلخ، وقد ظهر عبد الله بن إباض في الثاني من القرن الأول للهجرة، وعاش أتباعه في أكثر أحوالهم مسالمين للخليفة[1].

وفرقة أخرى من فرقهم الصفرية أتباع زياد بن الأصفر وهو لا يختلفون كثيرا في تعاليمهم عن الأزارق، وهذه الفرق الأربع: الأزارقة، النجدات، الإباضية، الصفرية هي أشهر فرق الخوارج.

الشيعة:

أ- نشأة الشيعة:

يحاول بعض علماء الشيعة أن يثبتوا أن الشيعة تكونت من مطلع الرسالة وترعرعت في أحضانها، ونودي بها منذ نادى الرسول الأعظم بكلمة التوحيد، حيث صاح الوحي في الرسول "وأنذر عشيرتك الأقربين" وأنذرهم فما استجاب له في قوة ونداء سوى علي أولا والعشيرة الطيبة المؤمنة من آله ومجموعة من رجال قريش ثانيا والتف حول علي منهم شيعة على الحكماء العلماء الذبل الشفاه الأخيار الذين يعرفون بالرهابنة من أثر العبادة وهؤلاء هم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبو ذر العفاري والمقداد بن الأسود وسلمان في المدينة فيما بعد، ويحاول علماء الشيعة أن يثبتوا أن لكل هؤلاء الصحابة وجهة تمثل ناحية من النواحي الروحية في الإسلام، والخطأ الأكبر في هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدي الرسول شيعة وسنة، إلا أن أتى الإسلام لكي يرفع الحجر بين الناس فلا هاشمي ولا قريشي ولا تيمي ولا غيره ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ومن الصحابة الأوائل بعد علي وأبي بكر عثمان بن عفان من بني عبد شمس وعندما كان علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وأسامة بن زيد يغسلون الحبس العظيم ويكفنونه، ثم حملوه إلى قبره في حجرته ونادت الأنصار "اجعلوا لنا في رسول الله نصيبا في وفاته" كما كان لنا في حياته فدعى علي بن أبي طالب أوس بن خولي أحد الأنصار فنزل معهم إلى القبر ووسد الرسول التراب بينما علي يفعل هذ إذ بالأنصار يجتمعون في سقيفة بني ساعدة ويعلنون إمارة بسبب الخزرج والصحابي

[1]- الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، صالح باجيد، إشراف علي الشابي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1976م، د ط، ص42.

الكبير سعد بن عبادة على المسلمين وبلغ الأمر ببكر وعمر وبعض المهاجرين فأتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد وخطب[1] أبو بكر وقال "يا معاشر الأنصار منا رسول الله فنحن أحق بمقامه" فقالت الأنصار "منا أمير ومنكم أمير"، فقال أبو بكر: منا الأمراء وأنتم الوزراء وتلاحى القوم بالكلام وما لبث الأنصار أن تراجعوا حين دعا أبو عبيدة الجراح إلى مبايعة أبي بكر وبايعه وقال والله ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين ثم نادى في الأنصار "يا معشر الأنصار: إنكم كنتم أول من بايع فلا تكونوا أول من غير وبدل وبايع الأنصار جميعا، وغضب بنو هاشم أن تم الأمر في غيبتهم ووقف عتبة بن أبي لهب ينشد شعرا في علي، ولهذا فقد غضب بنو هاشم أن تولاها رجل من تيم وقلة من الناس أحبوا عليا، غضبوا جميعا ثم ما لبث الجميع أن ساروا في ركاب الخليفة فعملوا له في كل نواحي الحياة وذلك حيث سار الخليفة على هدى رسول الله وسنته وحينما تولى الخلافة الصاحب الثاني عمر بن الخطاب و لم تكن هناك لا شيعة ولا تشيع، والمرة الثالثة بايع المسلمون عثمان بن عفان ذا النورين وبعد مقتل عثمان تولى علي بن أبي طالب الخلافة وبايعه أقوام وتخلف عنه أقوام وبعد علي بن أبي طالب تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان وحيث مات معاوية أراد الحسين بن علي الخروج إلى الكوفة لم تستخدم كلمة الشيعة. فذهب الحسين إلى الكوفة وقتله أهل الكوفة أنفسهم ومن هذا الحدث تكونت الشيعة كفرقة دينية[2].

أشهر فرق الشيعة:

1- **الزيدية:** اتباع زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومذهبهم أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى أهل السنة ولعل هذا راجع إلى أن زيدا تتلمذ على يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة وأخذ كثيرا من تعاليمه فزيد يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل فقال "كان علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر ولكن ومع هذا إمامة أبي بكر وعمر صحيحة".

[1]- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (نشأة التشيع وتطوره) على سامي المشار، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999م، ط3، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

2- **الامامية:** سموا كذلك لأن أهم عقائدهم أسست حول الإمام وقد قالوا بأن محمدا (ص) نص على خلافة علي وقد اعتصبها أبو بكر وعمر، وتبرأوا منها وقدحوا في إمامتها وجعلوا الاعتراف بالإمام جزاء من الإيمان وهي تتضمن الفرق التالية[1]:

أ- الباقرية (الجعفرية الواقعة): اتباع محمد بن الباقر بن علي زين العابدين وابنه جعفر الصادق.

ب- الناووسية: اتباع رجل يقال له ناووس وحكي أبو حامد الزوزني أن الناووسية زعمت أن عليا باق وستنشق الأرض عنه يومالقيامة فيملأ الأرض عدلا[2].

ت- **الأقطحية:** قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأقطح.

ث- **الشميطية:** اتباع يحي بن أبي شميط.

بالإضافة إلى الإسماعيلية الواقفة، الموسوية، الاثنا عشرية.

3- **الغالية:** هؤلاء الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله وهم أحد عشر صنفا: السبائية، الكاملية، العليائية، المغيرية، المنصورية، الخطابية، الكيالية، الهشامية، النعمانية...

المعتزلة:

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة اللقب إذ كان ألزم به متفقا عليه لقول النبي (ص) القدرية مجوس هذه الأمة، وكانت الصفانية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلات تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي (ص) القدرية خصماء الله في القدر والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد.

---

[1]- فجر الإسلام، احمد أمين، ص272.

[2]- الفرق الإسلامية، إيهاب كمال، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، دط، ص189.

القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته لا يعلم وقدرة وحياة وهي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه.[1]

اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو حلف المعدل كان عادلا[2].

الأشاعرة:

يكاد يكون من المسلم به أن الجماعات في وقت المحن واستقطاب الآراء تميل إلى القول بالحلول الوسطى وتطمئن لها حسما للخلاف، ومن المعروف أنه في القرن الثالث هجري قد ظهرت محنة خلق القرآن، تلك المحنة التي ربما تعتبر البداية التقريبية للعهد الذي يمكن أن يسمى عهد الاستنارة في الإسلام، كما يمكن أن تعتبر حدا فاصلا بين الغلو والاعتزال في الدراسات الكلامية، حيث مهدت لقيام المذهب الأشعري.

فلقد قال المعتزلة بخلق القرآن وحدوث الكلام الإلهي وقد ساقوا على أقوالهم حججا لا تخلو من العمق، إلا أن الفقهاء والمحدثين قد رفضوا ذلك رفضا قاطعا بحجة أنهم يتمسكون بظاهر النصوص الدينية التي لم تأتي بمثل هذه البدعة، و لم يقتصر الأمر على مجرد الجدال والمناقشة حول هذه المسألة وإنما تعدى ذلك إلى محاولة فرض الدولة (التي تبنت آراء المعتزلة) القول بخلق القرآن على الجمهور، فامتحنت الفقهاء والمحدثين ومن كان منهم يرفض التسليم بهذا القول كان يلحقه التعذيب فكانت محنة شغلت الفكر الإسلامي على كافة المستويات، ولقد أفاضت المصادر النسبية والسلفية منها

[1] تيارات فكرية، أحمد، ص 26.
[2]- تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، راجعه: موسى الصدر عويدات للطباعة والنشر، لبنان، 2004، دط ص181.

على وجه الخصوص في ذكر هذه المحنة وما حدث فيها للفقهاء والمحدثين من مآس بسبب ما ينادون به[1].

وإذا ما قويت شوكة الفقهاء والمحدثين بفضل مؤازرة السلطة الحاكمة لهم في عهد المتوكل الذي كان ينفر من الدراسات الكلامية ويشجع الاتجاه السلفي على عكس إسلافه المأمون والمواثق والمعتصم الذين شجعوا المعتزلة وناصروهم، فإننا نجدهم يثأرون لأنفسهم من المعتزلة الذين حفت صوتهم بعد ضياع السلطة من يدهم، وفضلا عن ذلك، فإنه كان لابد إذن من ظهور مفكر يجمع طرفي النقيض ليأتي لنا بفكرة جديدة تحل هذا النزاع، وذلك بالمزاوجة بين النص والعقل أو يفهم النص في ضوء العقل، أو بمتابعة العقل في سياج من النفي فكان هذا الرجل[2] المنتظر **أبو الحسن الأشعري***، الذي صار إماما لأهل السنة والجماعة لأنه جاء معبرا عن ميول عصره.

قال الأشعري الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أحوال الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن يبد خلقته وينقله من درجة إلى درجة ويرقبه من نقص إلى كمال علم بالضرورة أن له صانعا قادرا، عالما مريدا، أولا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبين آثار الإحكام والاتفاق في الخلقة، فله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها، كما دلت الأفعال على كونه عالما، قادرا، مريدا دلت على العلم والقدرة والإرادة، لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا وأيضا لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ويحدث بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالإرادة التخصيص لوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه[3].

---

[1]- علم الكلام بين الدين والفلسفة، إبراهيم تركي، ص195.

[2]- المرجع نفسه، ص196.

* توفي أبو الحسن الأشعري سنة 324هـ ومن أشهر كتبه مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، إلا بانه عن أصول الديانة.

[3]- الفرق الإسلامية، إيهاب كمال، ص125.

قال أو الحسن البارئ تعالى عالم بعلم قادر بقدرة، حي بحياة مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر وله في البقاء اختلاف رأي.

المرجئة:

كلمة المرجئة مأخوذة من أرجأ بمعنى أمهل وأخر، سمو المرجئة لأنهم يرجئون أمر هؤلاء المختلفين الذين سفكوا الدماء إلى يوم القيامة فلا يقضون بحكم على هؤلاء ولا هؤلاء.

وبعضهم يشتق اسمهم من أرجأ بمعنى بعث الرجاء لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة فهم يؤملون كل مؤمن عاص والأول سبب لابن عساكر.[1]

نشأت المرجئة لما رأت الخوارج يكفرون عليا وعثمان والقائلين بالتحكيم ورأت من الشيعة من يكفر أبا بكر وعمر وعثمان ومن ناصروهم وكلاهما يكفر الأمويين ويلعنهم والأمويون يقاتلونهم ويرون أنهم مبطلون وكل طائفة تدعي أنها على حق وأنها وحدها على الحق وإن ما عداها كافر وفي ظلال مسبب، فظهرت المرجئة تسالم الجميع ولا تكفر طائفة منهم وتقول: إن الفرق الثلاث: الخوارج والشيعة والأمويين مؤمنون وبعضهم مخطئ وبعضهم مصيب، ونواة هذه الطائفة كانت بين الصحابة في الصدر الأول فإنا نرى أن جماعة من أصحاب رسول الله امتنعوا أن يدخلوا في النزاع الذي كان في آخر عهد عثمان مثل أبي بكر وعبد الله بن عمران بن الجضين، روى أبو بكرة أن رسول الله (ص) قال: ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها، إلا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له أبا فليمحق بإبله ومن كان له غنم ما ليكف بنعمة ومن كان له أرضه فليكن بأرضه فقال رجل يا رسول الله من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج أن استطاع النجاة[2].

آراؤهم:

[1] فجر الإسلام، أحمد أمين، ص 280.
[2]- المرجع نفسه ، ص280.

إن هؤلاء الذين يتصارعون، يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت وهذه كلها علامة المسلم الظاهرة وهي التي تدل على أن من أتى بها كان مسلما.

ثم أن وحدة الأمة التي عليها يرتكز عزها ومجدها، وبها نصرة الإسلام وانتشاره،وإعلاء كلمة الله، هذه الوحدة التي يحرص عليها كل مسلم، تقتضي ألا نتنابز بالكفر بعد الإيمان، (الشيعة) إذن والعثمانيون و(الخوارج) مسلمون.

ولكن هؤلاء القوم، يحارب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، يأتون أعمالا كثيرة منكرة متبادلة فيما بينهم.

أهم مع ذلك مؤمنون؟ أليس للإيمان صلة بالأعمال؟[1]

رأى المرجئة إن الأعمال شيء وإن الإيمان شيء آخر، فالإيمان هو التصديق بالقلب، في ثقة واطمئنان، والأعمال من فعل الجوارح حقيقة أن الإيمان من شأنه أن يصدر عنه العمل ولكن ليس من المحتم أن يصدر عنه العمل، فقد تحول الحوائل، وتمنع الظروف عن العمل ويكون الإيمان مجرد تصديق قلبي، وأمر الإيمان والكفر: مرده إلى الله الذي يعلم السرائر، ذلك أنه أمر قلبي، لا تراه الأعين، ولا تسمعه الآذان وأمر كل إنسان إلى الله وهو وحده الذي يوفيه حسابه.

ولكن جريمة القتل التي ترتكب، وجريمة التعدي على الأعراض التي تنتهك، ألا يخرج ذلك الإنسان من حضيرة الإيمان؟

هل تخرج الكبيرة المؤمن عن إيمانه؟[2]

يرى المرجئة أن الإيمان، هو التصديق والتصديق لا يزيله إتيان الكبيرة، فالمصدق العاصي: مؤمن عاص، لم يزل عنه وصف الإيمان لعصيانه وسيتولى الله حسابه.

ولكن هل مقتضى الجريمة الخلود في النار؟

---

[1]- المرجع نفسه، ص 281.

[2]- التفكير الفلسفي في الإسلام، عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة، دت، ط2، ص141.

يرى المرجئة أن الخلود في النار خاص بالكفار، أما المؤمن فقد يعفو الله عنه، وقد يعاقبه، ولكن مصيره في النهاية الجنة.

"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن ا لله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم".

"إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء".

مرد الأمر في العقوبة والمثوبة إلى الله الحرة المطلقة، وعلى كل فمآل المؤمنين في النهاية الجنة.

هذا رأي جمهورهم ولكن قلة منهم رأت أن مآلهم: إنما مره إلى الله الذي لا يختتم عليه شيء.[1]

نرى من هذا: أن نشأة المرجئة كانت طبيعية، وأن أبحاثهم إنما دارت حول تحديد الإيمان، وحول ما يترتب على هذا التحديد من خلود في النار أو عدمه، وهذا في الواقع هو الأساس الأصيل، وهذا هو الجوهر الأساسي لمذهب المرجئة، أنهم يجمعون عليه، وكان من الممكن أن نكتفي بهذا ونعد المرجئة نزعة، نزعة إلى السلامة ولكن المؤرخين اتفقوا على عدها فرقة، بل وقسموها إلى فرق، وكنا نحب ألا نجاريهم في هذا، بيد أن جو التأريخ للفكر الإسلامي يجعلنا نذكر شيئا مما قاله المؤرخون[2]، إننا نذكر آراء فرقتين من فرقهم بعد أن ذكرنا الأصل الذي يجمعهم.

ويتعمد ذكر رأي هاتين الفرقتين وبالذات لأن الأولى منهما وهي (اليونسية) ويعدها الشهر ستاني من المرجئة الخالصة، ربما كانت السبب في القولة الشائعة: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، أما الفرقة الثانية هي فرقة أبي حنيفة وأصحابه.

اليونسية هم أصحاب يونس بن عون وقد رأى أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ويتمثل في شيئين: أحدهما ترك الاستكبار عليه والثاني: المحبة لله والخضوع له عند يونس شأن كبير، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته لا بعلمه وطاعته وعلى ضوء هذا يمكننا أن نفهم ما يعزى قول

[1] المرجع نفسه، ص 142.
[2]- المرجع نفسه، ص142.

الشهر ستاني شارحا رأي يونس من أن الطاعة ليست جزءا من الإيمان ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصا، واليقين صادقا[1].

أما فرقة أبو حنيفة وأصحابه فيزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير، والإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه[2].

[1]- المرجع نفسه، ص143.
[2]- المرجع نفسه، ص144.

الفصل الثاني

نشأة المعتزلة.

ليست المعتزلة أول الفرق الكلامية فقد سبقتها في النشأة فرق كالجهمية والقدرية، ولكن المعتزلة أهم فرقة عرضت موضوعات علم الكلام في نسق فلسفي متكامل بل لقد أصبحت مسائل علم الكلام تناقش في إطار الحدود التي وضعها رجال المعتزلة، يقول الملطي دائما أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في مناظرة الخصوم.

ولا ترجع أهمية المعتزلة إلى دورها البارز في علم الكلام فحسب أو أنها تمثل النزعة العقلية في الفكر الإسلامي فقط بل إن مكانتها في الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها ولا أعني بذلك فقط لأنهم كانوا أشد المدافعين عن الإسلام فكرا وجدلا ضد أصحاب الديانات الأخرى[1] فضلا عن الزنادقة وإنما هناك خصائص حضارية لم تجد بعد من عناية الباحثين قدر بيان نزعتهم العقلية ومن أهم هذه الخصائص الحضارية:

1- إن المسار التاريخي للمعتزلة قد صاحب المسار التاريخي للحضارة الإسلامية ازدهارا وانهيارا.

2- إن الأغلبية الساحقة من رجال هذه الفرقة كانت من الموالي بل من أصحاب الحرف وأهمية ذلك حضاريا يرجع إلى ما يأتي:

أ- إن مبدأ المساواة قد تحقق في الحضارة الإسلامية على نحو جعل رواد الفكر أناسا من الشعوب المغلوبة بل من الطبقات الدنيا.

[1]- تاريخ الفلسفة الإسلامية، ماجد فخري نقله إلى العربية كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان 1974، دط، ص109.

ب- يشير ابن خلدون إلى أن العرب حيث خرجوا من البداوة إلى الحضارة[1] شغلتهم الرياسة ومقتضيات أعباء الدولة من السياسة والإدارة عن القيام بالعلم والنظر.

وأول ما يصادفنا بصدد فرقة المعتزلة كثرة الآراء حول عوامل نشأتها وسبب إطلاق اسم المعتزلة على رجالها ويردد كثير من المؤرخين وكتاب الفرق القصة التالية كنقطة بدء تاريخية لنشأة هذه الفرقة.

دخل رجل إلى الحسن البصري وقال: "يا إمام الدين، لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟" فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب[2] قال واصل بن عطاء "أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في مترلة بين ا لمترلتين: لا مؤمن ولا كافر ثم قام واصل واعتزال إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن "اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة[3].

ويختلف الرواة فينسب بعضهم الحادثة إلى واصل بن عطاء وينسبها البعض الآخر إلى عمرو بن عبيد، يقول السمعاني المعتزلة نسبة إلى الاعتزال أي الاجتناب والجماعة المعروفة لهذه العقيدة إنما سموا بهذا الاسم لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد أحدث ما أحدث من البدع واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه فسموا المعتزلة، وإلى مثل هذا الرأي يذهب المقريزي[4].

[1]- الفرق الإسلامية، محمد عمارة، ص93.
[2]- التفكير الفلسفي الإسلامي، سليمان دنيا، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1967، دط، ص330.
[3]- الفرق الإسلامية، محمد عمارة، ص95.
[4]- المرجع نفسه، ص96.

ثمة رواية أخرى تقرر أن الذي ساهم بذلك قتادة بن دعامة الدوسي (المتوفى في سنة 117ه) إذ دخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري فلما عرف أنها ليست له قال إنما هؤلاء معتزلة ثم قام عنهم ومنذ ذلك الحين سموا المعتزلة.

وإذا كانت هذه الحادثة أو هي من أن تفسر النشأة الحقيقية لفرقة المعتزلة فإن صاحب مروج الذهب فعلق بدء ظهورهم على أصل من أصولهم-المنزلة بين المنزلتين- دون إشارة إلى اختلاف واصل أو عمر وعلى الحسن البصري، يقول المسعودي "ومات واصل بن عطاء ويكنّى بأبي حذيفة في سنة إحدى وثلاثين ومائة وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بالمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة[1].

ولا يستبعد أن يكون أصل (المنـــزلة بين المنـــزلتين) أول أصول المعتزلة ظهورا من الناحية التاريخية وإن لم يكن أهم أصول المعتزلة من الناحية الكلامية أو الفلسفية[2].

ولقد ظهر لفظ 'المعتزلة' كاصطلاح يطلق على طائفة قبل الحادثة المنسوبة إلى واصل إذ أطلق هذا اللفظ من قبل بالمفهوم السياسي على من اعتزلوا الحرب بين علي وخصومه فقد أرسل قيس بن سعد بن عبادة عامل مصر إلى علي أثناء خلافته "إن قبلي رجالا معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم وإن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس" ويقول الطبري في موضع آخر "ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس قد وادعهم"[3].

[1]- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسين علي المسعودي: تقديم محمد السويدي، ج3، ص152.
[2]- في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين)، أحمد محمود صبحي، ص108.
[3]- المرجع نفسه، ص109.

كذلك سأل المغيرة بن شعبة أبا موسى الأشعري عن رأيه فمن اعتزل هذا الأمر وجلس في بيته كراهية الدماء فأجابه أبو موسى "أولئك في الناس خفت ظهورهم من دماء إخوانهم وبطونهم من أموالهم".

وقد حاول بعض الباحثين إيجاد صلة بين الاعتزال بالمفهوم السياسي وبين الاعتزال بالمفهوم الكلامي مستندين في ذلك إلى أن مشكلة الحكم على فاعل الكبيرة ذات طابع سياسي وإن المعتزلة جميعا أعداء الأمويين وإلى ارتباط واصل بن عطاء يزيد بن علي واحتضان الزيدية لأصول المعتزلة وحين انقطعت الصلة بين العباسيين والعلويين منذ قيام الدولة العباسية بقي فرع بغداد على علاقة طيبة بالشعبة المعتدلة إذ يقول المعتزلة وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر إذ اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك إنهم كانوا أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم فقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا معتزلة[1].

تسميات أخرى للمعتزلة:

لقد أطلقوا على أنفسهم اسم أهل العدل والتوحيد أو العدلية والموحدة على رأي المقدسي والشهرستاني أو أهل العدل أو العدلية على رأي المسعودي وابن قيم الجوزية، وسموا أنفسهم باسم أهل الحق وسماهم أهل السنة باسم القدرية، وسموا الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، وبمخانيث الخوارج لأنهم كانوا يوافقون الخوارج في تخليد[2]مرتكبي الكبيرة في النار ولكنهم يرفضون تكفيره وبالوعيدية لأنهم يقولون بالوعد والوعيد وبالمعطلة لنفيهم صفات الله في مقابل الصفاتية الذين اثبتوا الصفات وهم الأشاعرة وبالثنوية والمجوسية لقولهم أن الخير من الله والشر من العبد وإن الله يخلق الخير والشيطان يخلق الشر.

[1]- علم الكلام وبعض مشكلاته، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م، دط ص115.
[2]- الفرق الكلامية الإسلامية، علي عبد الفتاح المغربي، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، 1986م، دط ص200.

ويورد المقريزي مجموعة أخرى من أسماء المعتزلة فهم

الحرقية: لقولهم أن الكفار لا يحرقون إلا مرة واحدة.

المغنية: لقولهم بفناء الخلدين (الجنة، النار)

الواقفية: لقولهم بالوقف في خلق القرآن.

اللفظية: لقولهم بأن ألفاظ القرآن مخلوقة.

الملتزمة لقولهم أن الله تعالى في كل مكان

القبرية لإنكارهم عذاب القبر[1].

ويختتم الجدل الدائر حول أصل التسمية بترجيح إرجاع اسم المعتزلة في الغالب إلى واقعة الانفصال التاريخي عن مدرسة الحسن البصري هذا الانفصال الذي يحمل أيضا معنى الحياد السياسي بين الفريقين المتنازعين أي أهل السنة والخوارج وما لبث هذا المفهوم أن اندثر بعد القرن الثاني للهجرة وحل محله فهم جديد لهذه التسمية[2].

ولابد من معرفة ما يطلق عليه في بعض مؤلفات علم الكلام بين المعتزلة التاريخية،والمعتزلة العقلانية.

[1]- علم الكلام عرض ونقد، عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ط1، ص142.
[2]- المرجع نفسه، ص144.

أهم شخصيات المعتزلة:

1- دور النشأة:

أ- واصل بن عطاء*:

مؤسس المذهب ورأس الاعتزال، تلقى العلم على شخصيات متباينة الآراء ومن ثم لم يكن تابعا لواحد منها بالذات وبعد أن استقل واصل بن عطاء عن حلقة الحسن البصري درب تلاميذه على أصول دعوة الاعتزال ثم بعث بهم إلى أرجاء العالم الإسلامي ليناظروا المخالفين، فبعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب فأجابه خلق كثير، وحفص بن سالم إلى خراسان حيث ناظر الجهم بن صفوان وذهب القاسم بن السعدي إلى اليمن وأيوب إلى الجزيرة...

يشير الشهرستاني بأن الواصلية كانت تدور حول أربع قواعد:

- **صفات الله عين ذاته:** وذلك أن إثبات الصفة إلى جانب الذات إنما يعني إثبات إلهين، كما أثبت واصل القدرة والعلم لصفتين قديمتين للذات.
- **القول بالقدر أو حرية إرادة الإنسان:** وفي تقرير ذلك قال واصل: إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم على فعله وإن الرب تعالى أقدره على ذلك كله وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم ويستحيل أن يخاطب الله العبد بـــ'افعل' وهو لا يمكنه أن يفعل[1].
- **القول بالمنزلة بين المنزلتين:** والسبب في ذلك أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: "يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم

* ولد بالمدينة عام 580هـ كنيته أبو حذيفة ولقب بالغزال ولم يكن كذلك ولكنه كان يلزم سوق الغزالين بالبصرة ليعرف العفيفات فيجعل صدقته لهن.

[1]- في علم الكلام 'دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين' أحمد محمود صبحي، ص182.

كفر يخرج به عن الملة-وهم وعيديه الخوارج- وجماعة يرجئون الحكم على أصحاب الكبائر، فالكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا" فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: "أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل في أسطوانة من أسطوانات المسجد[1]....

- قولة بخطأ أحد الفريقين المتحاربين في معركتي الجمل وصفين ولكنه لم يحدد الفريق المخطئ وقد قاس ذلك على المتلاعنين، فكما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه فكذلك القول في المتحاربين وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين ولذا لم يجوز قبول شهادة أحد من المشركين في حربي الجمل وصفين[2].

[1]- المرجع نفسه، ص182.
[2]- المرجع نفسه، ص183.

دور الاكتمال.

أبو الهذيل العلاف*:

عند أبي الهذيل العلاف وبه نصل إلى ذروة الاعتزال واكتمال موضوعات ولا غزو فالقرنان الثاني والثالث يمثلان أوج الحضارة الإسلامية في مختلف مظاهرها، يقال أنه تتلمذ على يد شيوخ المعتزلة وأنه أخذ العلم عن عثمان الطويل: أحد أصحاب واصل وكان الأخير قد بعثه إلى أرمينية وفي قول آخر أنه أخذ الاعتزال عن نشر بن سعيد وأبي عثمان الزعفراني صاحبي واصل بن عطاء، له موهبة في الجدل في عصر المجادلات الفكرية والعقائدية، كما استفاد من الفلسفة اليونانية حيث عاصر حركة الترجمة الضخمة في عصر العباسي، ويشير معظم كتاب الفرق إلى أنه أخذ عن الفلسفة اليونانية فيقرئ أبو الحسن الأشعري أنه-أي العلاف- أخذ مذهبه في الصفات من أرسيطو طاليس، يشير الشهرستاني إلى أن الغلاف وافق الفلاسفة في أن الباري تعالى عالم بعلم هو ذاته ولديه آراء عديدة في الإلهيات.

صفات الله عين ذاته: أبو الهذيل الغلاف هو أول من فصل في مسألة الصفات فالله تعالى عالم بعلم هو هو قادر بقدرة هي هو فإذا قلت: إن الله عالم أثبت له علما هو الله ونفيت عنه جهلا وإذا قلت قادر نفيت عنه عجزا وأثبت له قدرة.

علم الله لا يتناهى: ولما كان علم الله هو الله وكان الله لا يتناهى فإنه ليس لعلم الله نهاية، ولما كان الله يعلم ذاته وكانت ذاته ليست بذات غاية ولا نهاية فإنه ليس لعلم الله غاية أو نهاية.[1]

* هو أبو الهذيل محمد الهذيل العبدي، لقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت بالعلافين وفي قول آخر أنها كانت حرفته وكذلك معظم المعتزلة لقبوا بحرفهم، ولد سنة 135هـ وقد عمر مائة سنة.

[1]- طبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، نشره فؤاد سيد، الدار التونسية للطباعة والنشر، 1972م، دط، ص238.

دور الاكتمال.

أبو الهذيل العلاف*:

عند أبي الهذيل العلاف وبه نصل إلى ذروة الاعتزال واكتمال موضوعات ولا غزو فالقرنان الثاني والثالث يمثلان أوج الحضارة الإسلامية في مختلف مظاهرها، يقال أنه تتلمذ على يد شيوخ المعتزلة وأنه أخذ العلم عن عثمان الطويل: أحد أصحاب واصل وكان الأخير قد بعثه إلى أرمينية وفي قول آخر أنه أخذ الاعتزال عن نشر بن سعيد وأبي عثمان الزعفراني صاحبي واصل بن عطاء، له موهبة في الجدل في عصر المجادلات الفكرية والعقائدية، كما استفاد من الفلسفة اليونانية حيث عاصر حركة الترجمة الضخمة في عصر العباسي، ويشير معظم كتاب الفرق إلى أنه أخذ عن الفلسفة اليونانية فيقرئ أبو الحسن الأشعري أنه-أي العلاف- أخذ مذهبه في الصفات من أرسيطو طاليس، يشير الشهرستاني إلى أن الغلاف وافق الفلاسفة في أن الباري تعالى عالم بعلم هو ذاته ولديه آراء عديدة في الإلهيات.

صفات الله عين ذاته: أبو الهذيل الغلاف هو أول من فصل في مسألة الصفات فالله تعالى عالم بعلم هو هو قادر بقدرة هي هو فإذا قلت: إن الله عالم أثبت له علما هو الله ونفيت عنه جهلا وإذا قلت قادر نفيت عنه عجزا وأثبت له قدرة.

علم الله لا يتناهى: ولما كان علم الله هو الله وكان الله لا يتناهى فإنه ليس لعلم الله نهاية، ولما كان الله يعلم ذاته وكانت ذاته ليست بذات غاية ولا نهاية فإنه ليس لعلم الله غاية أو نهاية. [1]

* هو أبو الهذيل محمد الهذيل العبدي، لقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت بالعلافين وفي قول آخر أنها كانت حرفته وكذلك معظم المعتزلة لقبوا بحرفهم، ولد سنة 135هـ وقد عمر مائة سنة.

[1]- طبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، نشره فؤاد سيد، الدار التونسية للطباعة والنشر، 1972م، دط، ص238.

الكلام: كلام الله بعضه لا في محل مثل قوله "كن" وبعض الآخر في محل: كالأمر والنهي والخبر والاستخبار فأمر التكوين غير أمر التكليف وكان المعتزلة لا يفرقون في كلام الله بين هذين الأمرين، لهذا قالوا أن جميع كلام الله في محل ومن ثم فالقرآن-وهو كلام الله- في محل.

القدر: العلاف قدري في الدنيا جبري في الآخرة، ففي الدنيا يكون الإنسان حر الإرادة حتى يتم التكليف الشرعي ويصبح للثواب والعقاب الآخروي معنى، أما في الآخرة فالله هو الذي يخلف أفعال العباد ويحدثها ومن ثم فحركاتهم ضرورية إذ لو كانت مكتسبة لكانوا مكلفين فيها.

الحسن والقبح: هما أمران ذاتيان مدركان بالعقل قبل ورود الشرع أي أن الحسن والقبح لا يتعلقان بالمدرك لهما أو بنص الشرع عليهما بل بالموضوع الذي يحلان فيه فهاتان القيمتان إذن موضوعيتان تدركان بالعقل، فالعقل يستطيع التمييز بين الخير والشر وبين الجمال والقبح بدون حاجة إلى وحي وقد قال المعترضين عليهم، بنسبة هاتين القيمتين أو بأن الله هو الذي يحدث الحسن في الشيء أو في الموضوع بضرب من التأثير الإلهي المباشر ومن ثم فلا يكون الموضوع حاصلا على القيمة في طبيعته. [1]

[1]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص172.

إبراهيم بن سيار النظام*.

يكاد يجمع كتاب الفرق والمؤرخون أنه أعظم رجال المعتزلة جميعا وإذ كانت عظمة أستاذه العلاف ترجع إلى أنه أقام مذهبا متكاملا في مختلف مباحث الكلام فإن النظام كان أكثر دقة، وأشد غوصا في المعاني حتى جعل علم الكلام في عمق الفلسفة ودقتها استدلالا ومصطلحات وما كان ذلك كذلك لولا أنه طالع كتب الفلاسفة وتمثل بنظر أنهم تماما ثم أفاد منها في آرائه، على أن هذه الدقة وهذا التعمق قد عرضاه من ناحية أخرى لكثير من سوء الفهم والشعرية، ومن ثم لم نجد معتزليا لقي ما لاقاه من تشنيع الخصوم عليه، قيل أن والد النظام قد جاء بابنه وهو غلام إلى الخليل♦ بن أحمد ليعلمه وقد عُرِف النظام فيما بعد أديبا شاعرا إلى جانب كونه متكلما ولكن النظام قد أفاد من الخليل شيئا آخر يتصل بتكوين العلماء إلى جانب اللغة كما نسب البغدادي إلى النظام أنه في زمان شبابه عاشر قوما من الثنوية وقوما من البوذية القائلين بتكافؤ الأدلة♠ وخالط بعد كبره قوما من ملاحدة الفلاسفة.

والنظام مثله في ذلك كمثل معظم المعتزلة ليس لدينا شيء عن مؤلفاته ولا نعرف من أسماء كتبه إلا ما ورد ذكره في كتب الخياط والأشعري والبغدادي:

كتاب في التوحيد وقد ذكره الخياط.

كتاب العالم وقد ذكره الخياط.

نقض كتاب أرسكو طاليس: ذكره صاحب المنية والأمل.

---

* إبراهيم بن هاني البصري المعروف بالنظام يكنى أبا إسحاق نموذج فريد من المفكر بن بعامة ومن المتكلمين بخاصة، كان في أول أمره فقيرا، حتى قال عن نفسه كما حكى عنه الجاحظ جاع حتى أكر الطين وأنه اضطر لبيع قميصه ليأكل من ثمنه توفي سنة 231هـ.

♦ واضع علم العروض و من أكبر علماء اللغة العربية.

♠ أي تكافؤ أدلة وجود الله مع أدلة عدم وجوده و يسمي فلسفته اللا أدرية و البوذية نقول بذلك.

آراؤه الكلاميـــــــــــــــة:

صفات الله عين ذاته: صفات الله أزلية من علم وقدرة وحياة هي إثبات للذات الإلهية ونفي لأضداد هذه الصفات عن الذات فمعنى حولي عالم إثبات ذاته ونفي الجهل عنه وقولي قادر إثبات ذاته ونفي العجز عنه ومعنى قولي 'حي' إثبات ذاته ونفي الموت عنه واختلاف العلم عن القدرة عن الحياة إنما يرجع لاختلاف ما ينفي عنه سبحانه عن جهل أو عجز أو موت[1].

إرادة الله:

الإرادة لفظ مشترك بين الله والإنسان ومن ثم فلنفي أدنى مشابهة بينهما ذهب النظام إلى أن الله غير موصوف بالإرادة على الحقيقة ولكن الإرادة تنسب إلى الله على أنحاء ثلاثة:

أ- بصدد الخلق والتكوين إنه مريد لتكوين الأشياء فمعناه أنه مكونها أو أنه خالقها ومنشئها فإدارة التكوين هي التكوين.

ب- بصدد أفعال العباد: إذا وصف بأنه مريد للأفعال عباده-لكي ينفي النظام عن الله إرادته لما يقع من العباد من شر أو فساد- فمعناه إنه آمر به ناه عن خلافه وإرادة الفعل غير المراد لأن الفعل واقع من العبد لا من الله وفقا لنظرية المعتزلة في حرية إرادة الإنسان.

ت- بصدد الأفعال الإلهية المستقبلية: إذا وصف الله بأنه مريد أن تقوم القيامة فمعناه أنه حاكم بذلك مخبر به وإن وصف بأنه مريد لذلك منذ الأزل فمعناه أنه عالم بذلك[2].

---

[1]- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، دط ص68.
[2]- المرجع نفسه، ص73.

مدرسة بغداد 'دور الاعتزال المشبع'.

بشر بن المعتمر*:

من رؤساء معتزلة بغداد وقد حاول تطبيق النظر الفلسفي على الحاجات العملية للإسلام وقد وافق جمهور المعتزلة على مجمل آرائهم وانفرد عنهم بآراء من بينها مقالته في التولد ونظرات خاصة في مسائل أهمها.

1- الإرادة الإلهية: يرى بشر أن إرادة الله فعل من أفعاله وهو ما تكون صفة ذات أوصفة فعل ومن حيث كونها صفة ذات، والله لم يزل مريدا لجميع أفعاله ولجميع طاعات عباده ومن حيث كونها صفة فعل فإن أراد بها فعل نفسه في حالة إحداثه فهي خلق له وهي قبل الخلق لأن ما به يكون الشيء لا يجوز أن نكون معه وإن أراد بها فعل عباده فهو الأمر بها.

2- الإنسان: يرى بشر أن الإنسان مركب من روح وجسد وذلك على قول أبي الهذيل بأنه جسد فقط وقول النظام بأنه روح فقط ولو أن النظام يقصد بالروح أمرا له طبيعة شبه جسدية لطيفة.

3- عذاب النار: يرى بشر أن الله قادر على تعذيب الطفل ولكنه يفعل ذلك وإلا ظلمه لأنه غير مكلف شرعا و لم يبلغ بعد درجة ممارسة الإرادة.

4- التولد: الفعل المتولد-كما يعرفه الإسكافي-هو كل فعل يتهيأ وقوعه على الخطأ دون القصد إليه أو الإرادة له، وكل فعل لا يتهيأ إلا بقصد ويحتاج كل جزء منه إلى تجرد عزم وإرادة له، فهو خارج من حد التولد داخل في حد المباشر[1].

---

* أبو سهل بشر بن المعتمر الهيلالي نسبة إلى قبيلة هلال نشا وترعرع في الكوفة ومن بيئتها تأثر بالتشيع، ثم انتقل إلى بغداد حيث عمل نخاسا ثم تركها إلى البصرة حيث تتلمذ على أئمة الاعتزال ثم عاد إلى بغداد حيث أسس فيها فرع الاعتزال توفي سنة 210هـ.

[1]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص178.

دور النهاية:

أبو علي الجبائي*:

شهد أحداثا قاسية سواء بالنسبة للحضارة الإسلامية بعامة والفكر المعتزلي بخاصة، ففي المجال السياسي عاصر وابنه أبو هاشم عشرة من الخلفاء العباسين، وهذا مظهر لتدهور الخلافة حيث أصبحت مقادير الخلفاء يتفكر فيها الجند، أما في المجال الفكري بالنسبة للمعتزلة بخاصة فقد كانت سنة 234ه-أي قبل مولده بعام- هي التي أعلن فيها المتوكل نصرة أهل السنة ضد المعتزلة فكان إعلانه بداية انطلاق تيار رهيب من العراء العنيف للمعتزلة، ولكن أبا علي قد صمد لخصومة الدولة وعداء الحنابلة مدافعا عن الفكر المعتزلي إلى حد يمكن اعتباره أعظم رجالهم بعد النظام، والواقع إن الاعتزال قد وجد فترات من المهادنة وربما المصالحة في عهود بعض الخلفاء بعد المتوكل من أمثال المهتدي إلى أن قامت دولة بني بويه عناصر فهم واحتضنتهم ، لقد كان أبو علي وابنه أبو هاشم ثم تلميذه القاضي عبد الجبار يمثلون وهج المصباح قبل انطفائه و لم يكن ذلك الدولة وإنما لرد الفعل العنيف من القمت والكراهية من جانب الحنابلة انتقاما ممن امتحنوا إمامهم وصحبه، ثم لما لقاه المعتزلة من طعنة مؤثرة بخروج أبي الحسن الأشعري عن أستاذه أبي علي وما أعقب ذلك من ظهور مذهب الأشاعرة مقترنا بالجملات الملاحقة على المعتزلة من جهة أخرى[1].

اتفق المعتزلة على كون كلام الله محدث وإن القرآن مخلوق الأمر الذي أدى إلى صراع فكري عنيف بين كما هو مشهور معروف بينهم وبين الحنابلة ولكن المشكلة التي تختلف فيها المعتزلة تدور حول مدلول كلام الله فذهب بعض البغداد يبين من المعتزلة إلى أن القرآن 'في لوح محفوظ' ومن ثم فإن المقروء في المصاحف المتلو على الألسنة المحفوظ في الصدور إنما هو المحكي عن القرآن المجيد الذي هو في اللوح محفوظ وإن الحكاية غير المحكي لأن الحكاية أصوات منطوقة أو حروف

* أبو علي محمد بن عبد الوهاب ينتهي نسبه إلى أيان مولى عثمان بنا عفان لقب الجبائي نسبة إلى جبا من أعمال خوزستان ولد عام 235هـ له العديد من المؤلفات منها: كتاب اللطف، كتاب التولد، كتاب الرؤية... توفي نسبة 303هـ.

[1]- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق فؤاد سيد، ص99.

منظومة قائمة في محل المصحف أو الصدر أو اللسان وإذا كانت الحكاية متعلقة لمحل فإنها تفي بفناء المحل وتتجدد بتجدد محل آخر وليس كذلك كلام الله إذ أنه محفوظ[1].

لقد قالت المعتزلة بخلق القرآن وانفرد الجبائي لموقف خاص في نطاق هذا الرأي فهو يقول "إن الله متكلم بالكلام يخلقه لا في محل والملام أصوات وحروف والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام، والله تحدث في نفس قارئ القرآن كلاما أثناء القراءة ليكون القرآن بذلك كلام الله حقيقة"[2].

[1]- المرجع نفسه، ص112.
[2]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أو زيان، ص186.

الأصـــول الخمســـــــة.

تجمع رجال المعتزلة أصول خمسة فلا يعد معتزليا من لا يؤمن بها كلها، فيقول الخياط: "لسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقوننا في العدل ويقولون بالتشبيه وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد والعدل ويخالفوننا في الوعد والوعيد والأسماء والأحكام، وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعبارة الخياط تفيد تداخل لآراء الفرق الإسلامية كاتفاق الجهمية والمعتزلة في التأويل واختلافهم في القدر ومن ثم لا يعد الجهم معتزليا.

ولم يظهر اصطلاحا 'الأصول الخمسة' فضلا عما تفرع عنه من نظريات في عهد المؤسس الأول-واصل بن عطاء- فقد كانت بعض الموضوعات في عهده غير ناضجة، بل أن كثيرا من المسائل لاسيما ما يتصل منها تدقيق الكلام لم ينشأ إلا لدى رجال الطبقة السادسة وعلى رأسهم 'أبو الهذيل العلاف'[1].

الأصل الأول: التوحيد.

1. التنزيه:

يتفق المسلمون جميعا على توحيد الله،ولكن المعتزلة تعني بالتوحيد التنزيه المطلق لله عن صفات المخلوقين وقد جاء قولهم في التوحيد معارضا للتصور اليهودي لله من جهة ولآراء المجسمة والحشوية من جهة أخرى، فالله لدى المعتزلة ليس كمثله شيء 'تلك آية محكمة تؤول في ضوئها كل آيات يدل ظاهرها على اتصاف الله بأوصاف المخلوقين، ليس بجسم ولا شبح ولا

[1]- في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في لصول الدين)، أحمد محمود صبحي، ص119.

صورة[1] ولا لحم ولا دم (إنكار على المجسمة الذين جعلوا الله جسما وعلى فكرة العهد القديم إن الله خلق آدم على صورته)، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض (إنكار على المسيحية إمكان تشخيص الله أو أنه جوهر يتقوم بأقانيم). ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة (إنكار على اليهودية أنه ذو وفرة* سوداء أو بيضاء) ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة (إنكار على الحشوية والمشبهة اعتقادهم أن النبي ليلة المعراج قد صافحه وأحسن برد أنامله على كتفه) ولا طول ولا عرض ولا عمق (إنكار على المجسمة تصورهم إلا له سبعة اشبار بشر نفسه) ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن (تأويل لكل آية يقيد ظاهرها معنى نزول الله أو عروجه ولا يتبغض فليس بذي إبغاض وأجزاء أو جوارح وأعضاء (وحض لتصورات غلاة المجسمة الذين أجروا على الله كل الجوارح من صفات المخلوقين عدا الفرج واللحية) وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا تحيط به مكان (إنكار على الصفاتية تصورهم الله مماسا أو محاذيا للعرش) ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ولا يوصف بأنه متناه ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود ولا بوالد ولا بمولود، تقدس عن ملامسة النساء أو اتخاذ الصاحبة والأبناء لا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تجري عليه الآفات ولا تحل به العاهات (إنكار على اليهود تصورهم الله نادما على طوفان نوح حتى مرض ورمدت عيناه فعادته الملائكة أو كل ما يخطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه به، لم يزل أولا سابقا متقدما المحدثات موجودا قبل المخلوقات، ولم يزل عالما قادرا حيا ولا يزال كذلك، ولا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام[2] ولا يسمع بالإسماع شيء لا كالأشياء[3] عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين

---

[1] - العقيدة و الفرق الإسلامية، صبري خدمتلي، ص 89.

* الوفرة: الشعر المرسل خلف الأذنين.

[2] - في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين)، أحمد محمود صبحي، ص122.

[3] - استندوا في قولهم الله شيء إلى الآية 91 من سورة الأنعام: "قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم".

الأحياء وأنه القديم وحده لا قديم غيره، لا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وما خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه (إنكار على اليهودية إن الله قد استراح في اليوم السابع بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام) ولا يجوز عليه تحصيل المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام (إنكار على المشبعة بصورهم رضى الله أو غضبه أو سخطه بما تفيد الانتقال من حال إلى حال ومن انفعال إلى انفعال ولهذا فقد أثبتت المعتزلة الصفات الإيجابية معنى ولفظا كالقدرة والحياة والعلم وهي صفات يوصف بها الله ولا يوصف بأضدادها من عجز أو موت أو جهل ولا يعني إمكان إطلاق هذه الصفات-القدرة والحياة والعلم- على الإنسان مماثلة أو مشابهة بينه وبين الله لأن هذه الصفات إنما تطلق على الله لذاته بينما تطلق على الإنسان لمعنى خارج عن ذاته.

ومع هذا التنزيه المتعالي لله عن كل صفات المحدثين فإن الأمر لا يخلو من صعوبات، بعضها يتعلق بصلة الذات بالصفات والبعض يتعلق بصفات الله الخبرية التي قد يفيد ظاهرها التشبيه.

2. صفات الله عين ذاته:

إنه ومع جهلنا بحقيقة الذات الإلهية فإنه يمكن أن يصفها بصفات دون أن يفيد ذلك التشبيه ولفهم الموقف المعتزلي في هذا الصدد لابد أن نضع في الاعتبار أن المعتزلة قد رأوا الرد على فكرة[1] الأقانيم لدى النصارى، أن القول بأن الذات الإلهية جوهر يتقوم بأقانيم أي صفات-هي الوجود والعلم والحياة- قد أدى إلى الاعتقاد باستقلال الأقانيم عن الجوهر إلى اعتبار الصفات أشخاصا وإلى تجسد الاقنوم الثاني-اقنوم العلم- في الابن فلمواجهة هذا الاعتقاد نفي المعتزلة وصف الله بأنه جوهر، واعتبروا الصفات هي الذات غير المغايرة لها فصفات الله ليست حقائق

[1]- العقيدة والفرق الإسلامية، صبري خدمتلي، ص90.

مستقلة وإنما هي اعتبارات ذهنية ويمكن أن تختلف وجوه الاعتبارات في النظر على الشيء الواحد دون أن يلزم عن ذلك التعدد في ذاته، فيمكن أن نصف الجوهر مثلا بأنه متميز وقائم بذاته وقابل للعرض، كذلك الذات الإلهية واحدة وتتعدد الصفات بتعدد وجوه الاعتبارات فيقال عالم ونعني إثبات علم هو ذاته ونفي الجهل عن ذاته ويقال قادر ونعني إثبات ذاته ونفي العجز، فالله حي عالم قادر لذاته لا لحياة وعلم وقدرة زائدة على ذاته وهذا هو مقصود قولهم صفات الله عيني ذاته أما من أثبت معنى أو صفة قديمة زائدة على ذاته فقد أثبت[1] إلهين لأنه لو كانت الصفة مستقلة بذاتها زائدة على الذات قائمة بنفسها لتعددت الصفات الأزلية ومن ثم تعددت الآلهة، إن حمل الصفات على أنها معان قائمة بالذات تجعل الله جوهرا تلحقه الأعراض وهذا ما ينكره المعتزلة بشدة وإنما الله عالم وعلمه هو هو، قادر وقدرته هي هو أي أن علم الله هو الله وكذلك الأمر في كل من القدرة والحياة، وحدة مطلقة بين الذات والصفات ولكن ما الفرق إذا بين قولنا عالم وبين قولنا قادر، يرد المعتزلة: لاختلاف المعلوم عن المقدور فإذا قلت: الله عالم أثبت له علما هو الله ونفيت عنه جهلا وإذا قلت قادر أثبت له قدرة هي الله ونفيت عنه عجزا وإذا قلت لله حياة أثبت له حياة ونفيت عنه موتا أو بمعنى آخر: معنى قولي عالم إثبات ذاته ونفي الموت عنه[2].

واختلاف حمل الصفات على الذات إنما يرجع إلى اختلاف أضدادها المنفية عن الله، فاختلاف كونه عالما أو كونه قادرا أو كونه حيا إنما يرجع لاختلاف أضداد هذه الصفات من جهل وعجز وموت والعلم والقدرة والحياة صفات ذات، ذلك أن صفات الله على وجهين صفات ذات أزلية يوصف بها الله ولا يوصف بأضدادها وصفات فعل يقتضي إنصاف الله بها وجود المفعول ككونه خالقا أو رازقا كما أنه يمكن أو يوصف الله بها (المجيد، المميت) (المنتقم، الغفور) (الجبار، الرحيم) (المعز، المذل)[3].

[1]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، دط ص156.
[2]- المرجع نفسه، ص157.
[3]- المرجع نفسه، ص158.

3. تأويل الصفات الخبرية:

صعوبة أخرى واجهتها المعتزلة بعد أن ذهبوا في التنزيه إلى حد نفي أدق مماثلة بين الله والإنسان ألا وهي الآيات التي توهم التشبيه وقد أولها المعتزلة على نحو تنسق مع تنزيههم المطلق لله وقد استخدموا في التأويل إحدى الطرق الثلاث:

ثراء اللغة في دلالة اللفظ على عدة معان.

بلاغة اللغة العربية وكثرة استخدام العرب للمجاز والاستعارات والكنايات وذلك أكثر تأويلاتهم للآيات المتشابهة[1].

تحريف بسيط في قراءة بعض الآيات مستندين على تعدد القراءات.

لقد تأول المعتزلة الآيات التي يفيد ظاهرها أن لله يدا أو وجها أو عينا:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[2] ، ومعنى قول اليهود أيد الله مغلولة وصفه بالبخل، وقوله "بل يداه مبسوطتان" تعبير مجازي يدل على إثبات غاية السخاة له ونفي البخل عنه، لأن غاية ما يبذله السخي أن يعطي بيديه جميعا فيبنى المجاز على ذلك واليد عموما تفيد النعمة أو التأييد والنصرة:﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾[3] أو تشير إلى ذات الله "لما خلقت بيدي"[4]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[5]، "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" "إنما تطعمهم لوجه الله" "ولتصنع على عيني" أي برعاية مني والكلام موجه إلى موسى عليه السلام.

---

[1]- في علم الكلام (دراسة فلسفية لأداء الفرق الإسلامية في أصول الدين) لأحمد محمود صبحي، ص126.
[2]- سورة المائدة، الآية 64.
[3]- سورة الفتح، الآية 10.
[4]- سورة آل عمران، الآية 75.
[5]- سورة يس، الآية 71.

كذلك أنكر المعتزلة كل معنى حسي يفيده لفظ الاستواء في قوله:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[1] فالاستواء بمعنى الاستيلاء أو التمكن والشاعر يقول:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف روم مراق.

والله في كل مكان أو بالأحرى لا يحصره مكان محدود ومن ثم أولوا الآيات التي تفيد الفوقية،

كذلك أولوا الآيات التي تفيد النـــزول والمجيء أو العروج لنفي إفادتها الحركة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[2]،﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝﴾[3]،"وجاء ربك والملك صفا صفا"[4]،﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[5]،﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ﴾[6] فالله لا يترل ولا يجيء ولا يصعد ولا يترل من عنده شيء أو يصعد إليه شيء صعودا ماديا في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[7] لأن كل ما يتصل بالله خارج من معنى كل حاس ومحسوس فالمراد بالترول الإحسان والرزق كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾[8].

[1]- سورة طه، الآية 05.
[2]- سورة الكهف، الآية 01.
[3] سورة الإنسان، الآية 23.
[4] سورة الفجر ، الآية 12.
[5] الأنعام الآية 158.
[6] سورة السجدة، الآية 5.
[7] سورة فاطر، الآية 10.
[8]- سورة الحديد، الآية: 25.

وهكذا أراد المعتزلة تنقية تصورنا لله من كل أثر حسي وتخليفي فكرة الألوهية من شوائب الإسرائيليات والمجسمة والمشبهة، وقد استند المعتزلة في تأويلاتهم إلى منهج محدد هو رد متشابه الآيات إلى المحكم والمحكم عندهم ما وافق اعتقادهم في التنزيه المطلق لله عن صفات المخلوقين وعن البشر[1].

4. نفي رؤية الله يوم القيامة:

أنكر المعتزلة إمكان رؤية الله بالإبصار لاقتضائها الجسمية والجهة والضوء وذلك كله محال في جنب الله واستندوا في ذلك إلى آيات محكمة ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[2] وحين طلب موسى من ربه أن ينظر إليه ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[3] وأولوا الآيات التي توهم إمكان الرؤية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[4] فناظرة بمعنى منتظرة فنحن نقول "أنا ناظر ما يصنع بي بمعنى منتظر"[5] وإن استحالت الرؤية الحسية لله فلا يمنع المعتزلة إمكان الرؤية القلبية أي العلم به أو لذاته التي تخفى علينا في الدنيا، على أن هناك حديثا عن قيس بن حازم عن جرير قال "خرج علينا رسول الله (ص) ليلة البدر فقال 'إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا (وأشار إلى القمر) لا تضامون (أي لا تتزاحمون) في رؤية'، يعتبر المعتزلة هذا خبر واحد أي حديث أحاد لا يوجب الاعتقاد ولو قاله الرسول لوجب تأويله وعمله على العلم أي أنه عليه السلام قد بشر أصحابه بأنهم يعرفون ربهم في الآخرة ضرورة بلا كلمة ولا نظر.

---

[1]- الفلسفة العربية الإسلامية (الكلام والمشائية والتصوف)، أرثور سعدييف، توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، 2000، ط2، ص32.
[2]- سورة الأنعام، الآية 103.
[3] سورة الأعراف، الآية 143.
[4]- سورة القيامة، الآية 23.
[5]- هذا وقد ذهب أبو علي الجباني إلى أن 'إلى' في قوله 'إلى ربهم ناظرة' اسم وليس حرف جر بمعنى نعمة والمعنى: وجوه يومئذ ناظرة لنعم ربها منتظرة.

5. كلام الله... القرآن مخلوق.

كلام الله محدث أم قديم؟ من أكثر المواضيع التي أثارت احتلافا عنيفا بين المعتزلة من جهة والحنابلة من جهة أخرى زمن المأمون والمعتصم إلى الخصوص وقد بلغ الخلاف إلى حد إراقة الدماء وكانت المشكلة تسبب محنة الإمام أحمد بن حنبل.

الكلام لدى المعتزلة شأنه في ذلك السمع والبصر، لمس صفة من صفات الذات فكلام الله ليس أزليا إذ كيف يكون كذلك وفي القرآن أمر ونهي ووعد وكل ذلك يقتضي وجود المأمور أو المنهي أو الموعود ولو كان الكلام صفة أزلية لا صبح القرآن قديما ولشارك الله في الألوهية ذلك أن القدم صفة ذات للألوهية[1].

الأصل الثاني:

العدل: أهم صفة للفعل الإلهي، كما أن الأحادية أهم وصف للذات الإلهية ويتعلق العدل بالفعل الإلهي من حيث صلته بالإنسان كما يتعلق التوحيد بالبحث عن حقيقته الإلهية من حيث هي ذات مطلقة، إذن هناك صلة بين التوحيد والعدل، لقد نزه المعتزلة الله في أصل التوحيد عن صفات المخلوقين، كذلك نزهوه في أصل العدل عن الظالم.

لقد اختار المعتزلة العدل من بين صفات الفعل الإلهي ليجعلوها الأصل الثاني بل أهم حصولهم لأن العدل هو رأس الفضائل التي تحكم الأفعال المتعدية إلى غير لاسيما في علاقة رب بمربو بين أو حاكم بمحكومين ومن ثم ففي مجال علاقة الله بالإنسان العدل هو أسمى الفضائل بل أهم صفات الفعل الإلهي: وتكاد تندرج معظم نظريات المعتزلة التي تفسر صلة الله بالإنسان أو

[1]- أصالة علم الكلام، محمد صالح السيد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، دط، ص111.

بالأحرى مفهوم العناية تحت أصل العدل داخلة تحته ومن ثم يجب على [1] المعتزلة أن يلقبوا بالفرقة العدلية.

يعرف المعتزلة العدل بأنه ما تقتضيه العقل من الحكمة أو صدور الفعل على وجه الصواب والمصلحة، وهذا يعني أن تكون جميع الأفعال الصادرة عن الله والمتعلقة بالإنسان المكلف بمقتضى الحكمة وعلى وجه المصلحة ولكن العدل بالمفهوم المعتزلي لا يكفي التعريف لبيانه، أنه يتضمن معظم مذهبهم الكلامي وينطوي على عدة نظريات[2].

الأصل الثالث:

الوعد والوعيد.

الوعد هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل... أما الوعيد فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل.

واصل الوعد والوعيد مفرع عن أصل العدل إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثبت الأخبار وتعاقب الأشرار ويمكن تلخيص النظرة المعتزلية إلى اليوم الآخر: أنه استحقاق وأعواض.

أ. استحقاق للمكلفين:

أما الاستحقاق فإن الإنسان يستحق على طاعته الثواب وعلى معصية العقاب، ولا يجوز العفو عن المعاصي إن لم تفترق بالتوبة الخالصة لأن في جواز ذلك أغراء المكلف بفعل القبيح اتكالا منه على عفو الله، فالعقاب ضروري لأنه زاجر عن ارتكاب القبائح.

[1]- المرجع نفسه، ص116.
[2]-المرجع نفسه، ص117.

ب. **أعواض لغير المكلفين: الأطفال والحيوانات.**

إذا كان اليوم الآخر استحقاقا للمكلفين فهو للأطفال والبهائم أعواض، إن المصائب والآلام التي تلحق الأطفال لابد لهم من العوض عليها ولذا فإن الله لكمل عقولهم ويلحقهم بالصالحين في الجنات[1].

ويشمل العوض الحيوانات أيضا لأن عدل الله لا يتباين ولا يختلف بين المكلفين وغير المكلفين والعوض للبهيمة مسحق عن إباحة الشرع استعمالها ودنبحها[2].

الأصل الرابع:

المنزلة بين المنزلتين.

بعد هذا الأصل من وجهة نظر الباحثين نقطة البدء التاريخية في نشأة المعتزلة فمرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولكنه في منزلة بين المنزلتين ويوضح واصل بن عطاء رأيه هذا في قوله "إن الإيمان خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر أيضا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ولا وجه لإنكارها ففاعل الكبيرة يشبه المؤمن في عقده (عقيدته) ولا يشبهه في عمله وشبه الكافر في عمله ولا يشبهه في عمله فهو في منزلة بين المنزلتين.

والإيمان عند المعتزلة يقترن بالعمل الصالح وينطوي عليه لأن الإيمان عقيدة وعمل فإنه يزيد وينقص ما أمكن أن تكون في الأعمال زيادة ونقصان وهكذا تتفاوت درجات المؤمنين بالعمل الصالح من جانب ويقترن النقصان والزيادة من جانب[3] آخر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

[1]- دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية: يحي هو يدي دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، دت ،ط2، ، ص117.
[2]- المرجع نفسه، ص118.
[3]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علمي أبو ريان، ص170.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [1]،﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[2]،﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[3].

الأصل الخامس:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد أجمعت المعتزلة إلا أبو بكر الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ المقصود إلا يضيع معروف ولا يقع منكر وهو فرض كفاية لأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف معروفا والمنكر منكرا وعملهم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشره فإن الجاهل ربما ينهى عن معروف أو أمر بمنكر وقد يغلط في موضع اللين أو يلينا في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار عليه إلا تماديا.[4]

ومن شروط الأمر بالمعروف أن يعلم إن ذلك لا يؤدي إلى مضرة أعظم منه فإنه لو علم أو غلب على ظنه أن تهيأ لشرب الخمر تؤدي إلى قتل جماعة من المسلمين لم يجب.[5]

والأمر بالمعروف تابع للمأمور به، إن كان ندبا فندب وإما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واحد لا تصافه بالقبح وشروط الوجوب أن تغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلته وإلا يغلب على ظنه أنه أنكر أن لحقته مضره عظيمة بل يبتدئ في إنكاره بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب وهذا معلوم عقلا وسمعا فأما عقلا لأن الواحد منا إذا أمكنه تحصيل الغرض بالأمر السهل لا يجوز العدول عنه إلى الصعب

[1]- سورة فصلت، الآية 08.
[2]- سورة الفتح، الآية 4.
[3]- سورة المدثر، الآية 31.
[4] تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص 171.
[5]- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: محمد علي أبو زيان، ص171.

وإما سمعا فلقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

[1]- سورة الحجرات، الآية 09.

الخصائص المذهبية المعتزلة:

ليس من المستطاع أن نجد لدى جميع المعتزلة مذهبا واحدا متماسك الأجزاء يشترك الكل في القول به وذلك لأن شيوخهم عاشوا في عصر تأدب إليه كل الثقافات السابقة شرقية غربية، ثم إنهم كانوا مأخوذين بروح النقص والجدل وهدم حجج الغير سواء من المعتزلة أنفسهم أم من غيرهم، والدليل على ذلك أنهم لا يتفقون فيما بينهم على مذهب واحد في موضوع الجزء الذي لا يتجأ، إذ أن فريقا منهم يستعين بهذا المذهب ليفسر به كل الظاهرات الطبيعية والنفسية، ثم إن فريقا آخر يتبع الكساغوراس وفريق ثالث يميل إلى أرسطو في إنكار القول بالجزء الذي لا يتجزأ، على أن لهم أصولا مشتركة يسلمون بها جميعا، وهذه الأصول ليست إلا جزءا صغيرا من مجموع آرائهم ومقالاتهم لأنها لا تتجاوز تحديد موقفهم بإزاء بعض المسائل الدينية الكبرى.

جاء في كتاب الانتصار للخياط المعتزلي الذي حققه، ونشره الدكتور نيرج أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة اسبالة بالسويد عام 1925م ما يلي:

"وليس يستحق أحد منهم (أي المتكلمين) اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة (التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإذا اكتملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي، ونطلق هذه الأصول أيضا على المعتزلة كأسماء لهم فيقال المعتزلة أهل التوحيد والعدل، الموحدون، العدليون، أهل الوعد والوعيد، الوعيدية ويقال لهم أيضا أهل الحق أي أهل القول بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

ويذكر الأشعري في مقالاته "فهذه أصول المعتزلة الخمس التي يبينون عليها أمرهم وقد أخبرنا عن اختلافهم فيها وهي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

[1]- الثقافة الإسلامية، محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، دط، ص58.

ولكن الخياط يذكر عناوين مسائل مؤكدا أن المتعزلة هم الذين اختصوا بالنظر فيها مثل الكلام في فناء الأشياء وبقائها والقول في المعاني والكلام في المعلوم والمجهول والكلام في التوليد وفي الكلام إحالة القدرة على الظلم والكلام في المجانسة والمداخلة والكلام في الإنسان والمعارف.

ثم يذكر الخياط بأننا لا نجد على أحد من المعتزلة في هذه الأبواب التي ذكرها حرفا واحدا إلا لمن خالفه فيه من المعتزلة فأما لغير المعتزلة فلا نجد حرفا واحدا في هذه الأبواب إلا لإنسان سرق كلاما من كلام المعتزلة إضافة إلى نفسه.

وكتب الخياط في موضع آخر بمناسبة أبي هذيل المتوفي سنة (235ه) أن الكلام فيما كان (ما خلف) وفيما يكون (صيرورة الكلام ولطيفة) إنما كان الهذيل بكثرة ذكره والكلام فيه لتشتته ولعنايته به ... فهل يعرف في الأرض فصل بين هذين الكلامين إلا المعتزلة[1]؟

إن الفكر المعتزلي امتاز بازدواجية العناصر المادية والعناصر المثالية فجاءت أهمية التركيز على كشف هذه الازدواجية دون استخدام المعيار الذي طالما استخدم كثيرا في هذه المسألة وهو العلاقة بين المادة والوعي على أن تكون الفلسفة إما مادية أو مثالية لأن استخدام مثل هذا المعيار يجعلنا في قطيعة مع العصر الذي تبلورت فيه هذه الأفكار الفلسفية ورغم أن المسألة المركزية في فلسفة المعتزلة هي تحديد[2]العلاقة بين الله والوجود ولكن ليس معنى هذا أن يكون إلهاما خالصا بالله أو إيمانا خالصا بالتكوين الذاتي للوجود، إن المخالطة بين العناصر المادية والمثالية في الفلسفة الإسلامية مشكل شامل هو واقع لا يمكن نكرانه، كذلك أكدنا على التنوع الفلسفي له والمعتزلة من حيث الاتجاهات الفلسفية لعكس طبيعة هذا التناقض الذي اضطر له المعتزلة آنذاك إلى جانب التأكيد على الترابط بين أفكارهم وتوضيح ما جرى من تطور بين الفلاسفة وتلاميذهم.

---

[1]- المرجع نفسه، ص59.

[2]- تاريخ المتعزلة (فكرهم وعقائدهم)، فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، دط، ص10.

لقد سعى المعتزلة إلى وحدة الوجود المادية من خلال أن الجوهر من مصدر واحد وكذلك من خلال التداخل بين أشياء الوجود ببعضها ببعض وارتباطا بهذه الوحدة تأتي مسألة الحركة التي لا تنفصل عن الأجسام المادية كما ذهب إلى ذلك إبراهيم النظام لأهمية هذه الموضوعات نرى ضرورة أجراء تقييم جديد للفلسفة الإسلامية ومنها فلسفة الاعتزال[1].

[1]- المرجع نفسه، ص11.

منهج المعتزلة.

إن نصارى السريان لعبوا الدور الأكبر في نقل التراث اليوناني إلى الحضارة الإسلامية حيث كانوا ينشرون في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي خاصة حيران وجند سابور وقد بدأ هؤلاء النصارى نشاطهم هذا اعتبارا من القرن الرابع الميلادي وامتد حتى القرن العاشر الميلادي ويذكر دي بوران أحد القساوسة الأطباء السريانيين القادمين من أنطاكية واسمه بروبوس قام لأول مرة بنقل مجموعات من المكم اليونانية وقد وصلت أول ترجمة البنا في هذا المجال في عصر المأمون أي القرن الثالث هجري علما أن هناك ترجمات أخرى تمت في القرن الثاني هجري ضاعت معضمها.

ويعتبر عصر المأمون العصر الذي تمت فيه أغلب الترجمات من اليونانية إلى العربية بل أننا نستطيع أن نقول أن دار الحكمة التي أنشأها المأمون تحولت إلى مركز هام من مراكز تقييم الثقافة اليونانية بين العلماء[1]، فيتأكد لنا تأثر المعتزلة العميق بالثقافة اليونانيةعندما نعلم أن المأمون جعل مذهب الاعتزال المذهب الرسمي للدولة وإنه هو نفسه كان معتنقا لمذهب الاعتزال ومؤمنا بالثقافة العقلية وحرية التفكير إلى حد بعيد، ومع ذلك فإن تأثر المعتزلة بالفكر اليوناني لم يبدأ من عصر المأمون بل أن أغلب الظن يتجه إلى تأثرهم بهذا الفكر بدأ قبل العصر خصوصا إذا علمنا أن حركة نقل التراث اليوناني إلى العربية كانت قد بدأت في عصر المنصور، ثم هارون الرشيد حيث كان البرامكة يبعثون الرسل لشراء المخطوطات الإغريقية من روما وخصوصا إذا علمنا أن منطق أرسطو كان قد ترجم قبل عصر المأمون من الفارسية على يد ابن المقفع وهذا ما يجعلنا نرجح أن تأثر المعتزلة[2] بالثقافة اليونانية يعود جذوره إلى مراحل مبكرة من العصر العباسي.

[1]- مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، دار البزوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ط1، ص39.
[2]- المرجع نفسه، ص40.

ولا ريب أن المعتزلة كانوا أكثر المدارس الفكرية الإسلامية تمثلا للفلسفة والمنطق اليوناني واستخداما لهما في جدلهم ومناظراتهم الدينية وبصورة عامة يمكننا القول أن فلسفة والمنطق كان المنفذ الرئيسي الذي نفذت من خلالهما الثقافة اليونانية إلى الحضارة الإسلامية، فقد كانت مناهج وأساليب البحث العلمي لدى المسلمين بدائية وبسيطة في بداية أمرها حتى اصطلح المسلمون على الثقافة اليونانية ومعطياتها المتطورات في مجال البحث العلمي فاتسعت العلوم الإسلامية على إثر ذلك واتحدت الطابع العلمي والمنطقي حتى في المجالات التي تبدو في الظاهرة بعيدة الصلة بالفلسفة والمنطق كالفقه والنحو والأصول والبلاغة والخطابة والشعر.

وفيما يتعلق بالمعتزلة فقد رأوا أن خير صلاح للدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء الديانات الأخرى هو الإقبال على المنطق والفلسفة اليونانية ودراستهما بعمق للاستفادة من قواعدهما وقوانينهما وأساليبهما في مناظرة ومحادثة ومناقشة أصحاب تلك العقائد أو الديانات تماما كما كان يفعل هؤلاء في مناظراتهم مع المسلمين حيث يحدثنا المقريزي في هذا المجال قائلا: إن المأمون قد بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة فتلقاها المعتزلة واقبلوا على تصفحها والنظر فيها واشتد ساعدهم بها[1].

لقد عرف المعتزلة التأويل بقولهم "صرف اللفظ عن الظاهر لوجهة يحتملها العقل" وقيل صرف اللفظ عن معناه الظاهر المباشر على معنى مجازي لعرض حل مخالفتها للأصول والقواعد الاعتزالية.

جعل المعتزلة التأويل منضبطا بمعايير استوثقتها نفوسهم وعقدوا عليها قلوبهم وقد وضعوا العقل في أعلى المراتب يحكر به عن ظاهر النص[2]وقد اقتضى أعمال العقل التعامل مع اللغة بما يخدم تلك القواعد فيظهرون إلى الشقيق اللفظي في كثير من الأحيان ليخلصوا إلى النتيجة من

[1]- المرجع نفسه، ص41.
[2]- مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية. عمار جيدل، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ط1، ص116.

الملائمة مع قواعدهم ومن منطلق تلك القواعد جعلوا ما وافقها محكما وما خالفها مشبها ليسهل تأويله وصرفه عن ظاهره.

نجد فلاسفة الإسلام يغالون في استخدام العقل بدرجة تفوق المتكلمين فحرروا العقل من كل قيد واحذوا بأحكامه معهم قبلوها وإن وجدوها على خلاف النصوص الدينية فإن وجدوها على وفاق ظاهروها وحملوها على المعنى الذي انتهى إليه بحثهم.

حقيقة أن المتكلمين قد استخدموا العقل وقد استخدمه المعتزلة بدرجة تفوق أقرانهم من المتكلمين محاولين وضع منهج عقلي متزن في خطوطه العامة واستخدموا هذا المنهج استخداما هادئا إلا في حالات قليلة أسرفوا وتطرفوا، ومهما يكن من أمر استخدام العقل عند المعتزلة فقد كان في مدار فهم العقيدة وإذا كانوا قد لجأوا التأويل الذي يؤدي إلى هذه الغاية الدينية التي هي عندهم محل ثقة ويقين وهو في هذا لا يقارنون بفلاسفة الإسلام لأنهم في كل الأحوال ينطلقون من الدين ونصوصه محاولين تعقلها حتى يكون الإيمان بها راسخا فردوه شبهات الخصوم بإقامة الحجة عليهم فغايتهم حفظ قواعد الدين.[1]

ويمكن القول أن هذا خلاف واضح بين منهج المتكلمين ومنهج فلاسفة الإسلام هو في درجة استخدامهم للعقل في مجال القضايا الدينية حيث نقول ابن خلدون، "إنه إذا هدانا الشارع إلى مدرك فيبقى أن نقدمه على مداركنا وتثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدرك فيبقى أن نقدمه على مداركنا وتثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارض بل تعتمد ما أمرنا به اعتقادا ونسكت عما لم نفهم من ذلك بتفوضه إلى الشارع ولعزل العقل عنه"[2].

[1]- مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، ص53.
[2]- المقدمة: عبد الرحمان بن خلدون، شركة دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، دت، دط، ص 442.

صراعات المعتزلة مع المذاهب الأخرى:

لعبت المعتزلة دورا رئيسا وهاما في رحلة تطور الفكر الإسلامي على مر التاريخ ونظرة سريعة إلى معتقدات الفرق والمدارس المختلفة في العقيدة، ترينا الآثار والبصمات التي تركها عظماء المعتزلة على معظم هذه الفرق والمدارس وقد لاحظ ذلك نيكلسون في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية حيث يقول "إن المعتزلة قد رفعت بطريقة غير مباشرة الفكر الإسلامي إلى درجة تستحق الاعتبار وامتزج دورهم الإمام بوزهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية حيث يقول: "إن هؤلاء المعتزلة يعدون فلاسفة الإسلام حقا، وحتى جولد زهير المعروف بعدائه للإسلام قد اعترف في كتابه 'العقيدة والشريعة' بتأثير المعتزلة العظيم على الفكر العربي قائلا: "نحن لا نستطيع نكران أنه كان لنشاط المعتزلة نتيجة نافعة فقد ساعدوا في جعل العقل ذا قيمة حتى في مسألة الإيمان وهذا هو الفضل الذي لا يجحد والذي له اعتباره وقيمته والذي جعل لهم مكانا في تاريخ الدين والثقافة الإسلامية ثم أنهم وبالرغم من كل الصعوبات التي أثارها مذهبهم وكل ما أنكروه على خصومهم فإن حق العقل قد تغير على أثر كفاحهم بنسبة صغيرة أو كبيرة حتى في الإسلام النسي و لم يكن هينا بعد هذا أبعاده تماما[1].

إن موقف كل هذه الشخصيات المعروفة في تاريخ الإسلام من المعتزلة هو موقف الناقد من الكاتب المبدع، لقد أبدع مفكروا المعتزلة وأثروا الثقافة الإسلامية بكتاباتهم وتصانيفهم العديدة وأخطأو قليلا ولكنهم أصابوا كثيرا فيما ذهبوا إليه أما البغدادي ابن حنبل، الأشعري الباقلاني، وابن الريوندي الملحد فقد كانوا نقاذا أكثر منهم كتابا مبدعين[2].

وليس بشك أجرأ في أن مرتبة الأصالة والإبداع أرفع وأسمى من مرتبة النقد والتجريح، حيث يقول المستشرق السويدي يبرج "... ولو لم تكن المعتزلة مهدت الطريق لما كان لأهل

[1]- مجلة العربي، الصراع بين المعتزلة والأشاعرة، ثابت عيد، مطابع الشروق، القاهرة، العدد 560- 2005م، ص62.
[2]- المرجع نفسه، ص64.

السنة التقدم في هذا الفن مثل تقدمهم، ثم نريد أن نشير إلى شيء آخر هو أن قوما هذا شأنهم وموقفهم إزاء أعداء كثيرين ولابد أن يكون في أسلوبهم شيء من الضعف والتردد والعدول عن سوء السبيل إذ من نازل عدوا عظيما في معركته فهو مربوط به مقيد بشروط القتال وتقلب أحواله ويلزم أن يلاحق عدوه في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده وربما تؤثر فيه روح العدد وحيلته كذلك في معركة الأفكار أيضا.

المعتزلة تتلقى ضربات حاسمة من الخصوم:

كان على المعتزلة أن تتماسك وتدافع عن الأصول والمبادئ والتي وضعتها كبار مفكريها ضد ثلاث ضربات وجهها إلى المعتزلة ثلاث شخصيات معروفة في التاريخ الإسلامي هي: أحمد بن حنبل ابن الريوندي الملحد، أبو الحسن الأشعري، بل أن هذه الشخصيات الثلاث لم تدخل التاريخ من أوسع أبوابه لولا صلتها بالمعتزلة وخلافها مع فلسفتهم، حيث وجه الضربة الأولى إلى المعتزلة أحمد بن حنبل ليثأر لنفسه ولأصحاب الحديث، مما أصابهم من سوء العذاب على يد المعتزلة في سنوات حكم المأمون والمعتصم والواثق.

هجوم ابن الربوندي الملحد على المعتزلة:

كانت الضربة الثانية موجهة من ابن الريوندي الملحد الذي اشتهر في تاريخ الإسلام كأكبر ملحد على مر العصور حيث وجه ابن الريوندي ضربته إلى المعتزلة في أواخر القرن الثالث[1] وبعكس ابن حنبل الذي كان محدثا بكره علم الكلام، كان ابن الريوندي من كبار مفكرين المعتزلة في عصره، يقول البلخي: عنه في كتابه محاسن خراسان "كان من المتكلمين و لم يكن في زمانه أحدق منه في الكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله وكان في أول أمره حسن السيرة

[1]- المرجع نفسه، ص65.

حميد المذاهب، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له، وكان علمه أكثر من عقله..."[1].

انقلاب الأشعري على المعتزلة:

أما الضربة الثالثة التي تلقتها المعتزلة فكانت هي أيضا من مفكر معتزلي كبير ونعني به أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي تتلمذ على يد زوج أمه الأستاذ أبي علي الجبائي المعتزلي (ت303ه/915م) وظل الأشعري على الاعتزال حتى بلغ سن الأربعين ثم تمرد على المعتزلة يقول مؤلفا كتاب فلسفة الفكر الديني "لقد أتيح لأبي الحسن الأشعري الذي اعتزال المعتزلة أن يجهز عليهم بأشد ضربة ربما كانت هي الحاسمة فأصبح المذهب الذي خرج به هو بالذات مذهب أهل السنة في الإسلام"[2].

ذكرت كتب التاريخ أسبابا مختلفة لانفصال الأشعري عن المعتزلة فابن عساكر يحكي في كتابه 'تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري' قولا للأشعري مضمونه أن الرسول (ص) قد ظهر به ثلاث مرات في شهر رمضان فأمره في المرة الأولى أن ينصر الأحاديث النبوية عنه وفي المرة الثانية قال له الرسول (ص) "أنصر المذاهب المروية عني" فعزم الأشعري على ترك الكلام ودراسة الحديث والقرآن فلما كانت الرؤية الثالثة لأمة[3] رسول الله على ترك الكلام وأمره مرة أخرى بنصرة المذاهب المروية عنه، ويميل وات على تصديق ما تحمله هذه الرؤية مع معنى في حين أنه يكذب ويشكك في صحة المحاورة المشهورة التي جرت بين الأشعري والجبائي حول نظرية الصلاح والإصلاح التي دارت كالآتي "سئل الشيخ أبو الحسن أستاذه يوما عن ثلاثة

[1]- مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، ص85.
[2]- تاريخ المعتزلة (فكرهم وعقائدهم)، فلاح الربيعي، ص110.
[3]- علم الكلام وبعض مشكلاته أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، ص120.

مؤمن، كافر صبي، قائلا ما عاقبتهم" فأجاب قائلا "المؤمن من أهل الدرجات والكافر من أهل الهلكات والصبي من أهل النجاة"، فقال الأشعري "هل يستطيع الصبي أن يكون من أهل الدرجات؟" فقال: لا، وقال الأشعري: ولم، فرد الجبائي لأنه تقال له أن المؤمن إنما خال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها فرد الأشعري قائلا: "وإن قال الصبي لم أقصر لكني مت قبل أن أتمكن من عملها" فأجاب الجبائي أن الله يقول له "كنت أعلم إنك لو بقيت لعصيت فكانت مصلحتك في الموت صغيرا فرد عليه الأشعري فإذا قال الكافر ولماذا؟ يا رب لم تراعي مصلحتي فأموت صغيرا، وأنت تعلم إني حين أكبر سأكون كافرا؟ فلم يجد الشيخ جوابا[1].

ويبرهن وات على عدم صحة هذه الرواية لقوله: "أن رأي الجبائي الحقيقي في مسألة الصلاح والإصلاح تختلف عن الرأي الوارد في هذه الرواية والذي كانت تقول به مدرسة الاعتزال في بغداد في حين أن الجبائي كان أمام المعتزلة في البصرة فمن المعروف أن المعتزلة ظهرت أولا هي مدينة البصرة بالعراق ثم انطلقت منها إلى بغداد أنحاء ومختلفة من العالم الإسلامي[2].

[1]- المرجع نفسه، ص122.
[2]- مجلة العربي، الصراع بين المعتزلة والأشاعرة، ثابت عيد، ص70.

أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي:

كان ظهور المعتزلة يمثل الاتجاه التحرري الصاعد في التفكير الإسلامي وكانت عقليتهم التي نمت في ظلال ذلك المزيج الهائل من الثقافات العقلية المختلفة مؤذنة بقيام مرحلة ثقافية جديدة، تتسم بالعمق والخصوبة وتمجيد العقل والاعتزاز بحرية التفكير مرحلة كان لابد لها أن تبدأ لتحتط مسارا جديدا للثقافة العربية التي أخذت منذ ازدهار حركات الترجمة.

لم يكن من الممكن أن تظل الثقافة العربية جامدة منعزلة عن تلك التيارات الثقافية الجديدة دون أن تتأثر بها وتتفاعل معها ولم يكن من الممكن أيضا أن يقوم أهل السنة بأي دور في تفهم هذه الثقافات ودراستها ومحاولة الاستفادة منها والتوفيق بينها وبين ثقافتهم القرآنية التي كانت في الطابع العام لحياتهم حتى ذلك الحين لم يكن ذلك من الممكن من قبل أهل السنة فهم جماعة محافظون متمسكون بأصول ثقافتهم التي تقوم على القرآن والحديث ولا يقبلون النظر فيما عداهما حتى لا يتورطوا في قبول شيء قد يخالف منهاج شريعتهم أو نصوص دينهم ولذلك ظلوا بعيدين حذرين[1].

إذن كان لابد من قوة أخرى تسرد تلك الفجوة الكبيرة التي كانت موجودة بين هذين النوعين المتباعدين من الثقافة الإسلامية الواضحة والثقافة الهيلينية المعقدة وقد تمثلت هذه القوة في ظهور جماعة من المفكرين الأحرار أخذوا على عواتقهم ذلك العبء فاقبلوا على الثقافات الجديدة يمثلونها ويتعمقون جوانبها[2] ويحاولون التوفيق بينها وبين مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم وهؤلاء هم المعتزلة الذين كانوا من أكثر الطوائف الإسلامية إقبالا على هذه الثقافات وتمرسا بها[3].

---

[1]- أدب المعتزلة (إلى نهاية القرن الرابع الهجري)، عبد الحكيم بلبع، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1969- ط2، ص167.
[2]- المرجع نفسه، ص168.
[3]- المرجع نفسه، ص169.

ولقد كان أثر ذلك الدور الذي قام به المعتزلة عميقا في الفكر الإسلامي فقد قاموا بمهمة التوفيق بين الدين والفلسفة الجديدة واستطاعوا أن يعرضوا قضايا هذا الدين في صورة مقبولة لدى المثقفين الأجانب، كما استطاعوا أن يقفوا وقفة قوية في وجه الزنادقة والملحدين وأصحاب العقائد الفاسدة، وأن يتخذوا من ثقافتهم العقلية سلاحا يواجهون به كيد هؤلاء الذين كانوا يستخدمون نفس السلاح في موقفهم العدائي من الإسلام[1].

إن الدور الذي قام به المعتزلة في الرد على الزنادقة والمخالفين وأصحاب الديانات الأخرى يعطينا صورة واضحة عن نضالهم الصادق في نصرة الإسلام، والدفاع عن مبادئه وتعاليمه وتأييده بالحجة الدامغة والمنطق السديد، فإنهم لما وجدوا أعداء الإسلام متسلحين بالمنطق والفلسفة وسائر العلوم العقلية ليستعينوا بها في مواقفهم الجدلية ضد الإسلام، لم يكن به من أن يقبل المعتزلة على هذه الثقافات ويترددوا بها حتى يكونوا متسلحين بنفس السلاح ومصادر التاريخ العربي تعطينا صورة عن نشاط المعتزلة في ذلك السبيل وتوضح لنا مدى حماستهم للدفاع عن الدين الإسلامي ومناظرة أعدائه ودحض حججهم وإبطال مزاعمهم، فواصل بن عطاء يؤلف كتابا في الرد على المانوية ويعقد المناظرات لمناقشتهم وتفنيد آرائهم حتى يجوب الآفاق ويرحل إلى البلاد[2] مع أصحابه وأعوانه ولهذا الغرض ولقد نوه أحد الشعراء بذلك فقال:

ملقن ملهم فيما تحاوله جم خواطره جواب آفاق.

وكان واصل إذا جنه الليل وقفا وصف قدميه للصلاة ولوح ودواة موضوعات أمامه، فإذا مرت آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها، ثم عاد في صلاته وقد كان واصل شديد الوطأة على الزنادقة والملحدين، ولم يكن واصل وحده هو الذي تولى هذه المهمة، بل لقد كان ذلك

[1]- تاريخ المعتزلة (فكرهم وعقائدهم) فالح الربيعي، ص21.
[2]- مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، ص55.

همهم أصحابه من بعده بأبو الهذيل العلاف* كان من أشد رجال المعتزلة صلابة عود وقوة حجة وكان من أكثرهم دأبا للرد على المعاندين ومناظرة المخالفين روى عنه أنه ألف ستين كتابا يبطل فيها حججهم ويفيد أقاويلهم، وأنه ألزم الحجة يهوديا قدم إلى البصرة فناظر طائفة من مشايخ المتكلمين فيها فقطعهم وأفحمهم[1].

وكان أبو الهذيل كثير المناظرة لخصومه من المجوس وغيرهم فيلزمهم الحجة بأقل الكلام، وهكذا كان النظام وبشر بن المعتمر والجاحظ♦ وغيرهم من دهاقين المعتزلة وكبرائهم فقد كانوا لا يدخرون طاقة ولا جهدا في الدفاع عن الإسلام ومناظرة مخالفيه ولقد منهم من ذلك ثقافتهم الواسعة وتمكنهم من أساليب الجدل والمنطق التي كانوا يزعمون بها أقوالهم وآراءهم ولم يكن من المسلمين من يستطيع أن يقوم بذلك الدور الخطير وأن يقف في وجه أعداء الإسلام تلك الوقفة القوية وأن يبرز قضايا الدين مدعمة بالدليل مؤيدة بالمنطق.

وهكذا نرى أن المعتزلة قد استطاعوا بثقافتهم الواسعة أن يقوموا بدور لم يكن يتسنى لغيرهم القيام به فقد جمعوا بين ثقافة الإسلام وثقافة اليونان واستطاعوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة وأن يقربوا بينهما بطريقة خففت كثيرا من اشتداد حركة الزندقة التي ارتبطت إلى حد كبير بوجود تلك الفجوة بين هذين النوعين المتباينين من الثقافة فحينما اصطلح المسلمون على الفلسفات والعلوم العقلية الجديدة أخذ ضعاف الإيمان يشكون في قيمة عقائدهم وثقافاتهم ولكن المعتزلة استطاعوا أن يسدوا تلك الفجوة، وأن يمهدوا لقيام نوع جديد من الثقافة العقلية، يمكن أن يتلقى الدين والفلسفة فيها على صعيد واحد[2].

---

* يعتبر العلاف فيلسوف المعتزلة الأول بلا منازع والممثل الحقيقي للفلسفة الإسلامية فقد كان بلا شك نقطة التحول الكبرى للمذهب المعتزلي السالك إلى المذهب المعتزلي الفلسفي القائم على أسس منهجية ثابتة.

[1]- أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوربية، عمر فروخ، مطبعة الكشاف بيروت، 1943م، دط، ص14.

♦ كان الجاحظ من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم جمع في عقله كل ثقافة عصره كما أحاط بكل العلوم وادخل إبكارا جديدة في الأنظمة الاعتزالية.

[2]- الفكر الإسلامي مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، المجلد 1، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979م، ط1، ص424.

ومن ناحية أخرى فإن المعتزلة هم الذين تصدوا بحماسة للدفاع عن الدين وحمايته من ذلك الصراع الديني الذي احتدم من استقرار حركة الفتح وامتزاج المسلمين بغيرهم من أهل الديانات والعقائد الأخرى فهم الذين قاوموا المسيحية واليهودية والمجوسية بفرقها المتعددة، كما قاوموا حركات الزندقة والإلحاد وكانوا في نضالهم هذا يعتمدون على ثقافتهم العميقة ومعرفتهم الواسعة بفنون الجدل والمناظرة وإحاطتهم بما كان في هذه الديانات والمذاهب المختلفة من اتجاهات ومذاهب ومبادئ، كما كانوا يعتمدون على شيء آخر أساسي ذلك هو احترامهم للعقل واعتباره أساسا مهما في مناقشاتهم الدينية فإن الدور[1] الذي قاموا به مع الزنادقة والمخالفين لم يكن ليؤتي ثماره إلا بذلك المنهج الذي بنهجه المعتزلة الذي يقوم على تقدير العقل وتمجيده.

وقد مدح بشر بن المعتمر العقل فأشاد قيمته فقال:

لله ذر العقل من راشد وصاحب في العسر واليسر

وحاكم يقضي على غائب قضية الشاهد للأمر

وأن شيئا بعض أفعاله أن يفصل الخير من الشر.

وقد كان لاعتزاز المعتزلة بالعقل أثر كبير في التفكير الإسلامي فهم بهذا يعتبرون أول من وضع أسس النظر العقلي في الأدلة والبراهين وأول من خرج عن طريقة السلف، ولقد أدى ذلك إلى دعم الحركة العقلية وإلى خلق اتجاه واضح يقدر حرية العقل والتفكير، وهكذا نرى أن نصيب العقل في توجيه الحركات الفكرية قد تأكد على أثر كفاح المعتزلة في ذلك السبيل ولم يعد من الممكن-كما قال جولد تسيهر- تنحيه هذا العقل جانبا والاكتفاء بالبراهين النقلية وحدها كما كان يفعل السلف.

[1]- أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوربية، عمر فروخ، ص17.

ومن هنا فإن ظهور المعتزلة في التاريخ قد بدأت به مرحلة جديدة للفكر الإسلامي أوضح ما تتسم به تحرير العقل من سلطان النص و لم تكن هذه الخاصية وقفا على المعتزلة وحدهم بل لقد كان ذلك منهجا وضح أثره في الحركات الفكرية التي توالت بعدهم[1].

و لم يقف أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي عند هذا الحد بل لقد كان لثقافتهم الواسعة التي لم تتهيأ لغيرهم ولبيئتهم التي كثر فيها الجدل والمناظرة ثم للدرس الكبير الذي قاموا به من التوفيق بين العقل والنقل ثم الدفاع عن القضايا الإسلامية بالدليل والمنطق حيث كان لهذا كله أثر في تأسيس مبادئ العلوم العربية التي تتصل بمعاني[2]الكلام وأشكاله وترتيب أفكاره كالبلاغة والبحث والمناظرة، فمن المعروف أن هذه العلوم قد نشأت في بيئات المتكلمين وأنهم هم الذين وضعوا أسسها ومبادئها، روي أنه قد "اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال على شرائط: ألا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ولا تحكم ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك ولا تحمل الدعوى دليلا ولا تحوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا إذا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد التعارف..."

كما نرى للمعتزلة مذاهب نظرية كثيرة في البلاغة العربية ابتدعوها من ثقافتهم ومراسهم الطويل لفنون القول وأساليب الكلام فعمروا ابن عبيد والنظام وبشر بن المعتمر والجاحظ هؤلاء جميعا كان لهم الفضل الأكبر في تأسيس البلاغة العربية[3].

كان للمعتزلة الأثر الواضح في الأدب والبلاغة، صحيفة بشر بن المعتمر دليل واضح على مساهمة المعتزلة في الحركة الأدبية.

---

[1]- أثر المعتزلة في الفلسفة الإلهية عند الكندي، هناء عبده سليمان أحمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ط1، ص10.
[2]- المرجع نفسه، ص175.
[3]- الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص427.

لا يمكن لأحد أن ينكر أثر المعتزلة و دورهم الإيجابي الفاعل في تحرير الفكر الإسلامي من حالة الجمود على النص، و إتباع الأساليب التقليدية في النقاش و الحوار و الالتجاء بالنصوص القرآنية و الأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر الإسلامي من مشككين و زنادقة و ملحدين و أصحاب الديانات و المعتقدات الأخرى الغريبة عن روح الدين الإسلامي و مبادئه و الذين كان المجتمع الإسلامي يعج بهم أثناء فترة الحكم العباسي نتيجة لاختلاط المجتمع الإسلامي . بعناصر عديدة من الأمم و الشعوب الأخرى التي حملت معها معتقداتها و مبادئها و أفكارها و نشاط حركة الترجمة من تراث تلك الأمم و الشعوب، أن حركة الاعتزال ذات نشأة إسلامية واضحة على الرغم مما تزخر به كتب المستشرقين و من يدور في فلكهم من مؤرخي الفرق الإسلامية من آراء ترد هذه الحركة في محملها إلى مصادر يهودية أو مسيحية ، هندية أو يونانية ... الخ و لكن الأمر الذي لا شك فيه أن هذه الحركة و إن قامت بسبب مشكلات إسلامية نحته إلا أنها خضعت لبعض المؤثرات المسيحية في طور النشأة نتيجة لعوامل الانتشار الثقافي في منطقة ظهورها و التي كانت تموج بألوان شتى من العقائد و النحل، و لم تلبث حركة الاعتزال إن تفاعلت مع الفكر اليوناني الذي انتشر في العالم الإسلامي في العصر العباسي و لما تطورت معالجتهم المشكلات التي تصدر لبحثها نحسب المؤشرات الثقافية التي تعاقبت على أدوار النشأة و النضوج و الركود لهذه الحركة و قد تمثلت هذه المشكلات في التكليف الشرعي لمرتكبي الكبيرة و في حرية الإرادة و نفي الصفات الإلهية و كذلك إمكان رؤية الله في الآخرة ...

و يمكننا أن نلخص الخدمات التي قدمها المعتزلة إلى الفكر و الحضارة الإسلامية و التأشيرات التي تركوها في النقاط التالية:

1- أنهم أسهموا بشكل فاعل في نقل التراث و الثقافة اليونانية في جانبها الفلسفي و العقلي إلى الحضارة الإسلامية و ذلك من خلال اضطلاعهم على تلك الثقافة و تمثلهم لمعطياتهما العقلية و الفلسفة .

2- كان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين و الفلسفة في حين كان يبدو مستحيلا الجمع بينهما و خصوصا من وجهة نظر أهل السنة الذين كانوا يرون في النزعة الفلسفية نوعا من الزندقة و الإلحاد و الخروج عن قواعد الدين.

3- وبفضل تسلح المعتزلة بسلاح الفلسفة و المنطق و علم الكلام و أساليب الجدل و المناظرة، فأنهم قد أدوا دورا كبيرا و بارزا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات و الديانات الأخرى السماوية المعروفة منها كالمسيحية و اليهودية و الإلحادية كالمجوسية ، والثنوية والمانوية و قد تمثل هذا الدور إما في مناقشة و إبطال حجج أصحاب تلك المعتقدات و الديانات أو في دعوى غير المسلمين الطالبين الحقيقة إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية .

4- و أخيرا فقد أرسى المعتزلة دعائم حركة عقلية واسعة كان لها أكبر الأثر في صياغة الحضارة الإسلامية نظرا إلى أن مذهبهم كان يقوم في الأساس على احترام العقل و تمجيده و التعويل عليه في استنباط الكثير من الأحكام الشرعية من جهة و أساليب التفكير من جهة أخرى

- القرآن الكريم، رواية حفص

مكتبة البحث:

1. الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، صالح باجيد، إشراف علي الشابي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1976م، دط.
2. أثر المعتزلة في الفلسفة الإلهية عند الكندي، هناء عبده سليمان أحمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ط1.
3. أثر المعتزلة في الفلسفة الأوربية، عمر فروخ، مطبعة الكشاف بيروت، 1943م، دط.
4. أدب المعتزلة (إلى نهاية القرن الرابع الهجري)، عبد الحكيم بلبع، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1969ـ ط2.
5. آراء الخوارج الكلامية، عمار طالبي، الجزء الأولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، دط.
6. أصالة علم الكلام، محمد صالح السيد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، دط.
7. أيام العرب في الجاهلية، محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي الدار النموذجية، صيدا بيروت، 2005، دط.
8. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، دط.
9. تاريخ الفلسفة الإسلامية، ماجد فخري نقله إلى العربية كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان 1974، دط.
10. تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، راجعه: موسى الصدر عويدات للطباعة والنشر، لبنان، 2004، دط.
11. تاريخ المتعزلة (فكرهم وعقائدهم)، فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، دط.
12. التفكير الفلسفي في الإسلام، سليمان دنيا، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1967، دط.
13. التفكير الفلسفي في الإسلام، عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة، دت، ط2.

14. تيارات فكرية، أحمد دكار ، كنوز الانتاج والنشر والتوزيع بوسعادة،المسيلة،دت، ط1.
15. الثقافة الإسلامية، محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، دط.
16. حضارة العرب في عصر الجاهلية، حسين الحاج مؤنس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت – لبنان،2006، ط4.
17. دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، جمال المرزوقي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ط1.
18. دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، يحي هويدي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، دت، ط2.
19. دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، محمد بن عميرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، دط.
20. العقيدة والفرق الإسلامية، صبري خدمتلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، دط.
21. علم الكلام بين الدين والفلسفة، ابراهيم محمد تركي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2008 ، ط1.
22. علم الكلام عرض ونقد، عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ط1.
23. علم الكلام وبعض مشكلاته، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م، دط.
24. فجر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975، ط11.
25. الفرق الإسلامية، إيهاب كمال، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، دط.
26. الفرق الإسلامية، محمد عمارة، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، دت، دط.
27. الفرق الكلامية الإسلامية، علي عبد الفتاح المغربي، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، 1986م، دط.
28. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تعليق إبراهيم رمضان، دار الفتوى بيروت، 1997، ط2.

29.فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، دط.
30.الفكر الإسلامي مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، المجلد 1، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979م، ط1.
31.الفلسفة العربية الإسلامية (الكلام و المشائية و التصرف) أرثور سعديين، توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، 2000، ط2.
32.في علم الكلام (دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين) أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985 ط 5 .
33.المتكلمون في ذات الله وصفاته والرد عليهم، صابر عبد الرحمن طعيمة مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ط1 .
34.مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، محمد علي أبو ريان، عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، السويس، د ط.
35.مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، رشيد البندر، دار البزوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ط1.
36.مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسين علي المسعودي، الجزء الثاني. تقديم: محمد السويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر، 2007 د ط .
37.المقدمة: عبد الرحمان بن خلدون، شركة دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، دت، دط.
38.نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (نشأة التشيع وتطوره) على سامي المشار، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999م، ط3.

المجلات:

1. مجلة العربي، مطابع الشروق، القاهرة، العدد 560، 2005.

الفهرس

مقدمة ..... أ

مدخل 1

الفصل الأول: علم الكلام، نشأته وتطوره

علم الكلام وتاريخه 8

موضوعه 13

سبب تسميته 14

عوامل نشأة علم الكلام 16

المذاهب الكلامية 24

الفصل الثاني: أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي

نشأة المعتزلة 37

الأصـــول الخمسة للمعتزلة وخصائصها المذهبية 51

منهج المعتزلة 66

صراعات المعتزلة مع المذاهب الأخرى 69

أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي 73

الخاتمة 78

مكتبة البحث

الفهرس